ثقافة الهند

1967

VOL 18

المجلد الثامن عشر   العدد الثالث

يوليو ١٩٦٧

يصدرها مجلس الهند
للروابط الثقافية
آزاد بهون ، نيودلهي



طبعها ونشرها

إنعام الرحمن ،

سكرتير مجلس الهند للروابط الثقافية

آزاد بهون ، نيو دلهي — الهند

في مطبعة نوري المحدودة بمدراس ١٣ .

ثقافة الهند

مجلة علمية ثقافية

المجلد الثامن عشر

العدد الثالث

يوليو ١٩٦٧

مجلس الهند للروابط الثقافية

الرئيس . المستر محمد على كريم تشاجلا

يهدف المجلس — كما ينص دستوره — إلى إنشاء وإحياء وتعزيز الروابط الثقافية بين الهند والبلاد الأخرى بالوسائل التالية :

(١) التوسع فى معرفة وتقدير لغاتها وآدابها وفنونها
(٢) إنشاء الروابط الوثيقة بين الجامعات والمعاهد الثقافية
(٣) اتخاذ جميع التدابير الأخرى لتنمية الروابط الثقافية

مجلة علمية أدبية
يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية مرة كل ثلاثة أشهر
يناير — ابريل
يوليو — اكتوبر

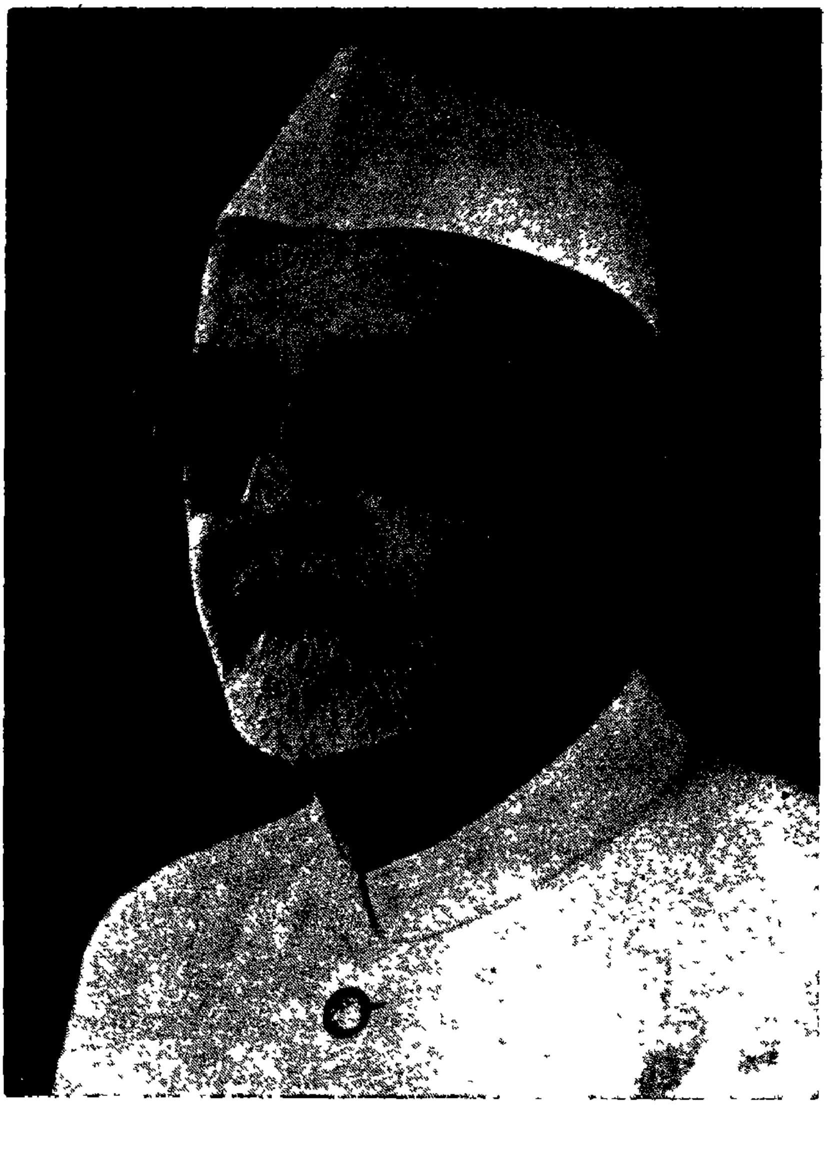
بدل الاشتراك عن سنة (ويدفع مقدما بحوالات أو شيكات) . فى الهند عشر روبيات فى الخارج عشرون شلنا . ثمن العدد فى الهند روبيتان ونصف . فى الخارج خمس شلنات .

المراسلات : باسم سكرتير المجلس اذا كانت تتعلق بارسال المجلة أو بدل الاشتراك . وباسم رئيس التحرير : اذا كانت تتعلق باستعراض الكتب أو مبادلة المجلات .

ثقافة الهند

رئيس التحرير
شمعون طيب على
لوكهندوالا

محتويات العدد



نشوة النصر

مهداة الى حضرة صاحب الفخامة الدكتور « ذاكر حسين » بمناسبة انتخابه رئيسا لجمهورية الهند . مع ارق التحيات الحارة واصدق التمنيات السارة . تقديرا واكبارا لفضل ونبل سيادة الرئيس الأفخم .

نهنيك نهنيك يا ابن السادة النجب　　فضل سموت به للأنجم الشهب
إن الرئاسة زفت لابن بجدتها　　لذاكر فازدهت بالنبل والحسب
فذاكر رمز مجد الهند قاطبة　　ومصدر الفخر للاسلام والعرب
وذاكر عبقرى نابه فطن　　محنك المعى منذ كان صبى
وذاكر علم تزهو البلاد به　　للعلم عاش وللتعليم والأدب
وذاكر زاهد تهفو القلوب له　　من للشعوب سواه فى لظى الكرب
وذاكر مؤمن بالله مطلبه　　ارضاء رب الورى اكرم بذا الطلب
وذاكر مسلم حقا وداعية　　للدين للخالق الأسمى لخير نبى
تقلد المنصب العالى بحكمته　　فنال من ناخبيه أرفع الرتب
فاهنأ بذروة عز عز مطلبها　　وأين منها اعتزاز الدر والذهب
يا أيها الصاعد السامى لقمتها　　لوح بمجدك بين السهل والهضب
وأنت يا سعد ردد فى مرابعنا　　مباهج الانس واسمع رنة الطرب
وارقص على نفحات القلب منتشيا　　كأس المسرة لا كأسا من العنب

محمرة البشر قد هزت جوارحنا ... فعربدت جذلا من فرحة الغلب
فلتسعد الهند بالشهم الهمام كما ... رواقت بفضل علاه دولة الكتب
إني أهيبك عن بعد ويسعدني ... أني شكرتك قبل اليوم عن كثب
كما اهني الورى طرآ نسائفة ... بعالم سليل المجد والنسب
مرحى حسين لقد حققت أمنية ... للمسلمين وحلما فى دجى الحجب
فالشكر لله أن جادت مكارمه ... تداكر ذكره عطر مدى الحقب
والشكر للناخبين المخلصين على ... حسن الخيار بلا ضغط ولا صخب
هذا هو الوعى فى أسمى مراتبه ... هذا هو الفهم والادراك فى الطلب
هو التسامح فى شعب سما أبدا ... بالعلم والمنطق الاعلى، اغر، أبى
بالملهمات التى لاشئ يعدلها ... سوى النبوة نور الله فى الكتب
يا أمة الهند يا من من حضارتها ... تعلم الناس من ثاو ومغترب
يهنيك أنك آثرت العلا أربا ... والعدل خطة ما تبغين من أرب

جدة : نديم الرافعى

صفحات مجهولة من تاريخ مجيد

(بمناسبة انتخاب الدكتور ذاكر حسين لرئاسة جمهورية الهند)

للاستاذ الفاضل الشيخ عبد المنعم النمر

تم فى الشهر الماضى انتخاب الدكتور ذاكر حسين رئيسا لجمهورية الهند وهو أول مسلم يتولى هذا المنصب منذ استقلت الهند . وقد كان تقدير الهند له باختياره لهذا المنصب تتويجا لماض زاخر بالجهاد فى سبيل وطنه . ولمواقف له كريمة سباقة فى وجه الاستعمار ، أخذ ميدان العلم والتربية الحظ الوافر منها قبل أن يختار للمناصب السياسية ، حاكما لولاية بيهار ثم نائبا لرئيس الجمهورية ، وميدان التربية والعلم وان كان هاما فى كل بلد الا أنه كان يمثل فى الهند ناحية حماسة فى وقت من الأوقات التى مرت بها خلال جهادها ، ومن الزاوية التى كان يرابط فيها المسلمون لمحاربة الاستعمار فى وقت سيطر فيه على كل شئ فى الهند .

فى العام الماضى زار الكويت زيارة رسمية . وبعد صلاة الجمعة بمسجد الأحمدى كان لقائى له ، واستعدنا ذكرى لقاء آخر على ارض الهند وفى رحاب جامعة عليكره فى السابع والعشرين من يناير ١٩٥٧ حيث تلقيت دعوة من الجامعة لحضور حفلها السنوى لتوزيع الشهادات على المتخرجين فيها واهداء الدكتوراة الفخرية له تقديرا لخدماته العلمية لها ولغيرها ، ودار حديث بيننا عن الذين تحدثوا بالعربية فى الحفل كما جرت بذلك تقاليد الجامعة والاعتذار عما يكونون قد وقعوا فيه أحيانا من خطأ نتيجة لعدم اتقانهم لها .

والصحف التى نشرت خبر اختياره رئيسا للجمهورية ذكر بعضها أنه ساعد على انشاء الجامعة الملية الاسلامية ، وقد أثار هذا الخبر فى نفسى شهية الكشف عن تاريخ عظيم ، ومواقف خالدة للدكتور واخوانه المجاهدين المسلمين ضد الاستعمار ، وحملهم لواء مقاطعة ، أو عدم الولاء له ، كما كان يسميه المسلمون أو العصيان المدنى كما اشتهر أخيرا وذلك قبل أن ينادى به غاندى فى الهند .

وأرجع الآن الى ما كتبته فى كتابى «كفاح المسلمين فى تحرير الهند» والى مذاكراتى التى كتبتها عن الزعماء المسلمين فى الهند .. لأجلو لك بعض الحقائق المجهولة ، وأقدم لك صفحات مجد سجلها هؤلاء الزعماء المسلمون ومعهم الدكتور ذاكر ..

نحن فى يوم ٧ يونيو ١٩٢٠ حيث وصل مولانا شيخ الهند مولانا محمود الحسن ورفاقه من مالطا بعد أن قضوا فيها سنوات معتقلين ، والشعب يخف لاستقباله وكان فى مقدمة غاندى ولم يكن نجمه قد سطع . اذ كان قد قضى سنوات الحرب يحث الشعب على مساعدة الانجليز ويطوف البلاد من أجل هذا الغرض .

ولم يهدأ مولانا محمود الحسن بعد وصوله للهند بل استأنف جهاده ومواقفه العدائية ضد المستعمر ، وتلاقت جهوده مع جهود جمعية الخلافة وجمعية علماء الهند وكلها كانت تدعو الى عدم الولاء للمستعمر ، ومقاطعته فى مصنوعاته ومدارسه مع رد الألقاب الحكومية .. الخ .

كانت «كلية عليكرة الاسلامية» التى أنشاها سير سيد أحمد خان سنة ١٢٩٣ هـ - سنة ١٨٧٦ م والتى نمت وترعرعت حتى صارت جامعة

سنة ١٩١٢ م بمساعدة الانجليز وبعض المسلمين المتفقين مع سيد أحمد خان فى اتجاهه ، كانت هذه الجامعة قد تحولت الى وكر للدعاية والمآرب الاستعمارية وكان مديروها باستمرار واكثر أساتذتها من الانجليز ، ولايكفون عن التدخل فى الأمور السياسية ورئاسة الجامعات التى تجمع الموالين للاستعمار . حتى تأكد لدى الوطنيين المسلمين ما أثاروه حولها منذ إنشائها وحول منشئها أحمد خان من أن لها مآرب استعمارية ، وأن التعليم فيها يهدف الى زعزعة العقيدة الاسلامية والروح الوطنية فى نفوس المتعلمين بها حتى يضمنوا ولاءهم بعد تخرجهم للاستعمار .

كانت الجامعة فى ذلك الوقت تمثل جبهة من المسلمين تنادى بالتعاون مع الانجليز فى الوقت الذى كانت هناك جبهة اسلامية قوية تنادى بمقاطعة الانجليز فى كل المجالات وفى مقدمتها المدارس الحكومية أو التى للحكومة نفوذ عليها . وكانت الحرب الفكرية على أشدها بين الجبهتين . .

فى هذا الوقت رأى بعض المسلمين الذين ينادون بمقاطعة الانجليز أن جامعة عليكرة التى تحمل الصفة الاسلامية والتى جذبت اليها ـ من أجل ذلك ـ كثيرا من أبناء المسلمين لم تعد الا وكر للاستعمار وأن من الخطر على هؤلاء الأبناء أن ينشئوا فيها وليس فى مناهجها ما يغذى روحهم الاسلامية بل على العكس يهدم فيها هذه الروح ويسلبهم الحضانة الاسلامية ويجعلهم صنائع للمستعمر ، ودمى يحركها كما يشاء .

ولكن ماذا يعمل هؤلاء الزعماء ؟ هل يكتفون بالخطب والتحذير من هذه الجامعة ؟ وأين ـ اذن ـ يتعلم أبناء المسلمين ؟ انهم يريدون التعليم

الذى يجمع بين التعليم الحديث والتعليم الدينى الذى يغرس فيهم روح المحافظة على عقيدتهم ، ويعصمهم ضد التيارات الالحادية والاستعمارية التى أصبحت «عليكرة» مهدا لها.

واتجهت الأذهان الى انشاء جامعة اسلامية يتحقق فيها الهدف الكريم الذى ينشدونه فتقوم على تبرعات المسلمين حتى تكون بعيدة عن نفوذ الحكومة ، واتفقوا على أن يعقدوا اجتماعا عاما لهذا الغرض تحت رئاسة الأسير العائد من مالطا محمود الحسن شيخ الهند حتى يكون للاجتماع قوته وآثاره. وكان الشيخ قد استبد به المرض ونصحه الأطباء بعدم الحركة ولكنه حين طلب منه أن يتولى رياسة الاجتماع لم يلق بالا لأوامر طبيبه ورفيق جهاده الدكتور أنصارى فقال: «ما دام فيها ضرر للانجليز وسياستهم فانى لابد أن أحضر ولو كان فى الحضور مخاطرة بحياتى.»

ولكن أين يكون الاجتماع ؟

هنا يبلغ التحدى مداه ويقرر الزعماء أن الاجتماع لابد أن يكون فى بكورة «عليكرة» مقر الجامعة وقريبا منها. هناك فى فم الاسد كما يقولون :

وكيف ؟ ألا يكون هذا الاجتماع معرضا لخطر التهجم عليه من أساتذة الجامعة وطلابها لاسيما والجامعة تساندها الأجهزة الحكومية الاستعمارية والحديث فى هذا الاجتماع سيتركز على الطعن فى الجامعة وبانها لم تؤد الغرض منها ، بل انقلبت آيتها واصبحت وكرا للاستعمار . الخ. ويكون ذلك مدعاة لاثارة النفوس تعصبا للجامعة وبالتالى يفشل الاجتماع والمجتمعين ؟

ولكن ما حدث كان أمرا عجيبا وجديرا بأن يقف عنده المؤرخ كثيرا وينحنى أمام هذه العظمة النفسية وهذه القوة العقدية والوطنية التى كان يحمل لواءها هؤلاء الزعماء ، والتى سرى لهيبها فى نفوس الكثيرين .

نعم. فلقد كان أشد المتحمسين للفكرة بعض أساتذة الجامعة وطلابها بعد ما لمسوه من الجو الانجليزى الخانق . . وفى مقدمتهم الدكتور ذاكرحسين .

وفى ١٦ صفر سنة ١٣٣٩ هـ، ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٠ م انعقد الاجتماع ولم يستطع شيخ الهند أن يقف ويلقى خطبته، فألقاها بدلا منه تلميذه مولانا شبيرأحمد عثمانى. وكانت خطبة طويلة جامعة جديرة بأن يقرأها كل مسلم بامعان، ليرى فيها التفتح واللهب والمنطق والدين والوطن. يرى أناسا وهبوا نفوسهم لله والوطن. ويتعلم ان كان يريد ..... لا أستطيع هنا فى هذه العجالة أن أقدم لك كثيرا من هذه الخطبة، ولكن يكفينى أن أقدم لك منها هذه الفقرات .

« ان مما لايناسب قوميتنا العظيمة الشأن أن تكون مدارسها وكلياتها مصانع لتخريج عبيد للغرب والأجانب، بل الواجب أن نجعلها على غرار كليات بغداد وقرطبة والمدارس الأخرى التى تعلمت فيها أوربا وتخرجت حين كنا أساتذة لهم ».

« ان نجاح المسلمين متوقف على تعلم العلوم الحديثة، بل انه لابد أن يكون مفتاح هذه العلوم بايديهم، ولكن لابد أن يكون حرا من أية سيطرة للاجانب مطهرا من نجاسة الغرب فى كل ناحية من نواحى العقائد والآراء والاخلاق والتقاليد .

« اننى أحمد الله أن وفق شبابنا الى التمييز بين ما ينفعهم وما يضرهم، بين الغث والثمين، وعملوا على تأسيس جامعة ملية اسلامية تدرس العلوم الحديثة وبجانبها العلوم الاسلامية التى تحمى الشباب من الزيغ .

«انني أقول لكم وأطلب منكم الا تمدوا أيديكم بمساعدة للحكام المستعمرين أعداء الدين والوطن ولا تقوموهم بمعاونة، بل قاطعوهم، واعملوا ما تستطيعون لاضعاف شأنهم، وتمسكوا باحكام دينكم فى اخلاص واستقامة والله تعالى يقول لكم (لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء).

«أيها الاخوان توكلوا على الله، واعتصموا بحبله جميعا ولاتفرقوا، واتركوا موالاة أعدائكم، ولا تتأخروا فى خدمة الاسلام والوطن. ومن حسن حظنا أن الهندوس بدؤا يوافقوننا فى هذه الحركة ويؤيدوننا، لأنهم يئسوا من الحكومة بعد وقائع البنجاب، فاغتنموا الفرصة، واستعينوا بالله، وهو حسبكم. نعم المولى ونعم النصير».

وانتهت الخطبة وانتهى الاجتماع. والحماس بالغ منتهاه. وكثيرا ما عهدنا مثل هذه الخطبة وعهدنا كذلك مثل هذا الحماس وشهدنا كذلك كيف أن الكثير منها أو كلها يذهب مع الريح. ولكن الذى حدث كان أمرا عجبا.

والذى حدثنى به واحد ممن اشتركوا فيه، وكان مدرسا فى عليكرة فى ذلك الوقت. حدثنى به حينما كنت فى الهند وروى فى مالا يزال يشدنى الى هؤلاء الأماجد. الى أصحاب النفوس الكبيرة والعزائم الصادقة.

أتدرى ما حدث؟ وكيف بدؤا انشاء الجامعة الملية الاسلامية؟

انها قصة شباب ورجال آمنوا بربهم ووطنهم فهان أمامهم كل صعب، وأصبح يسيرا أمامهم كل عسير.

ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذى يلقاه فيها محبب

لقد قال لى الرجل الأستاذ الذى شارك فى هذا الموقف:

«لقد بدأنا الجامعة الملية الاسلامية فى خيام. وبجانب جامعة عليكرة.

«واستقلت من جامعة عليكرة لأدرس فى الجامعة الوليدة تحت ظل الخيام.

«واستقال معى كثير من الأساتذة المسلمين المؤمنين بالفكرة.

«وترك كثير من الطلاب المسلمين أماكنهم المهيأة فى جامعة عليكرة ليواصلوا دراستهم تحت الخيام.

«كنا نتقاضى مرتبات طيبة من جامعة عليكرة فتركناها وتطوعنا بالدراسة فى الجامعة الوليدة. ثم عيت لنا بعد ذلك مرتبات ضئيلة كنا بها أشد فرحا من المرتبات الكبيرة التى كنا نتقاضاها من «جامعة عليكرة».

وهكذا أصبحت الفكرة عملا تحوطه القلوب وتقويه العزائم، ويغذيه الايمان بكل مقومات الحياة.

ولم تلبث الجامعة أن انتقلت من عليكرة الى العاصمة. وقد حرصت على زيارتها حينما كنت بالهند ورأيت كيف تستقبل الأبناء مسلمين وغيرهم من صغرهم لتسير بهم فى التعليم حتى نهايته.

وستظل هذه الجامعة واسمها رمزا باقيا لفكرة وعمل ورجال مؤمنين مجاهدين كان منهم الدكتور ذاكر حسين الذى رعاها فكرة وواقعا، ووقف يرعاها بعد ذلك بجهده ونماها بعلمه وتجاربه واخلاصه تحية للرجل المجاهد وللابرار المجاهدين الذى انتقلوا الى حواريهم.

فلسفة غاندى الاقتصادية *

س . د . ترپاتهى

تمتاز كل فلسفة اقتصادية بمالها من مجموع قواعد أولية وخصوصيات مية بجانب محاولاتها للوصول الى الهدفين الأبعدين للرفاهة الاجتماعية النهائية والنجاح الفردى الأكثر . يهدف هذا المقال الى ان نقدر التبرعات التى أسداها «المهاتما غاندى» الى الفكرة الاقتصادية المعاصرة ؛ وبما ان الفكرة الغاندية تحاول حل المعضلات الاقتصادية الحالية بطريقة ديناميكية هى فى الوقت نفسه ثوروية وبشرية ، تصدينا لدراسة المقدمات الأساسية لهذه الفكرة مع بيان خصوصياتها الصناعية وترتيباتها النظامية وبرامجها المعدة للاستحواذ على الهدفين الشقيقين كما تقدم ذكرهما .

لم يحظ ما أسداه المهاتما غاندى الى الفكرة الاقتصادية المعاصرة بتقدير كامل من الجيل الحاضر للمؤرخين والمفكرين بالهند . انما امتاز غاندى بشخصية ذات مزايا جمة متشابكة كزعيم سياسى غلاب ، وكمجاهد الاستقلال ، وكبانى الأمة وكمطوع على الصدق وعدم العنف وكمصلح الهيئة الاجتماعية وكبطل الشعب المضطهد المدوس بوطأة الاستعمار ، وكمبشر خلقى وكصريع قيم البشرية المتناهية ؛ فلا غرو ان أسدلت هذه الصور المحتفة بشخصيته حجبا كثيفة على محيا صورته كاقتصادى صميم وحقيقى[1] اعنى الاقتصادى للجمهور .

---

* مع الشكر لمجلة Gandhi Marg ، العدد ٤٠ ، اكتوبر ١٩٦٦

(١) لايستقيم علم الاقتصاد مادام يرفض الاعتراف بالقيم الخلقية أو يتغاضى عنها (Young India, 26-12-24, P. 421) . ليس من شأن علم الاقتصاد الحقيقى ان يكافح مقاييس الاخلاق الرفيعة (Harijan, P. 212, 9-10-37)

كان مذهب غاندى الاقتصادى جزءاً مهما لكفاحه المستمر المطرد ضد الاستغلال والفقر وضد نظام رثيث للاقتصاد الجماعى وضد قيم الاخلاق المتدهورة ـ لم تكن فلسفته الاقتصادية عبارة فقط عن مجموعة لشوارد الفكر العمومية أو المبادى الاكاديمية التى تتوقف على أساس النظريات التقليدية للاقتصاد ولكنها كانت متطورة بموجب عملية الاتصال الوثيق بالجمهور وحسب التجارب الفائتة للحصر والنضال المستمر الذى تشارك فيه ملايين المواطنين لغاندى على السواء. ان اتجاهه الفلسفى وحيته الثورية واخلاصه الجبلى، كل هذا بالاضافة الى ايمانه المتلهب وجرأته على الادانة ورغبته فى التدين[١]، لاقام معنى جديداً ومستأنفا لمحاولته الهامة لمسائل الاقتصاد المعضلة ولانحلال عقودها، وعلى الخصوص فيما يتعلق بالاتجاهات الاممية الحاضرة فى بيئة الاقتصاد السياسى.

عاش غاندى فى برهة حاسمة ومتقاطعة فى التاريخ، حينما كانت الاساسيات تطرح، على مستوى دولى لتحقيق الاختبارات فى حقل الفلسفات المعتقدات الاقتصادية الجدد، وبناء على ذلك ظلت آراء غاندى الاقتصادية، من جهة واحدة تتأثر من كتابات ومؤلفات روسكين (Ruskin) وكارليل (Carlyle) ومن جهة أخرى تزداد نضجا ونموا فى وجه الاصطدامات والمناقضات والضغوط للرأسمالية والفاشيستية والشيوعية. انما الرأسمالية[٢]

---

(١) ليس هنالك شئ من الملل أرق من الصدق واختيار الصلاح
(Gandhi-Ethical Religion, P. 49.

(٢) أنا لا اجتنب الثروة ولكنى أقاوم الرأسمالية (Young India
(P. 348, 7-10-26

مع قرينتها العهيدة السلطة الاستعمارية ، قامت على أساس قوانين الاستغلال العديمة الانسانية وعلى التحفيل الاقتصادى والمزاحمات القاصمة - وكانت الفاشيستية تلوثها الدكتاتورية السياسية والقومية العدائية والسلالية والضراوة بالسيطرة العالمية - أما الشيوعية فانها بدأت فى الاصل كفلسفة ثورية ثم اتخذ اصلها الطيب يفسد فى صورة فلسفة سلبية ومضادة للديموقراطية وللمذاهب المجموعية والحكومية والتمركزية والتجنيد.

أصبحت الحروب الايديولوجية وجهودات اللامبدئية والاستقطاب فى منطقة الاقتصاد تعبر شئون الامم الى مجرى التيارات الجارفة ، فاقتضت الظروف ان تناهز فلسفة الاقتصاد بطريقة ديناميكية سريعة بحيث انها توافق مثاليات الديموقراطية والاستقلال السياسى والتحرر الاقتصادى واصول المماثلة والمعدلة والصحة الاجتماعية والاشتراكية ثم انها تكون مقرونة بالانسانية الراديكالية والدولية السمحاء والطمأنينة المسكونية . ومن هنا صارت الفكرة الغاندية كفلسفة اقتصادية لاتنوه بالمثاليات والمقومات السامية فقط ولكنها استطاعت ان تواجه بالدقة ضغطى القومية والأممية الجديدتين للرأسمالية والشيوعية على السوية .

هذا والنواة المركزية التى حواليها تدور الفكرة الغاندية الاقتصادية هى النوع البشرى ولا الرهبنية المادية - لقد طمح[١] غاندى الى ترقية الحياة

---

(١) انما الهدف الاقصى للانسان ان يؤمن بالله وان تكون افعاله بالكلية سواء كانت اجتماعية ، أو سياسية أو اقتصادية موجهة بواسطة ذاك الهدف الاقصى أو الايمان بالله (Harijan, 29-8-36, P. 226) ان الغاية التى ينبغى لنا ان نجد فى الوصول اليها هى السعادة البشرية مع التقدم الخلقى والعقلى تماما (Harijan, 15-1-42, P. 5)

البشرية وانهاضها فاخصابها بالاكثر من تصويبه نحو مقياس رفيع للمعيشة يقل ويضأل معه احترام الكرامات الاجتماعية والانسانية لاغرو ان الترقية المادية كانت بموجب رأيه لبانة مرغوبا فيها الا انها لم تصلح قط لتكون الغاية الوحيدة للحياة التى يعنى بها لاجل الوصول الى الاهداف المثلى لخدمة البشرية وتخليصها[1] وبهذه المناسبة اتفق ان يكافح غاندى على استمرار، لعقد صفقة متوازنة بين الروحانية وبين العلوم الحكمية والمذهب المادى. انه رغب فى ايصال الفلسفة الاقتصادية الجديدة من حضيضها المادى الى مستوى روحى أرقى. حيثما تكون الافعال الانسانية صادرة فى الغالب بموجب الاغراض الاجتماعية وقلما يحث عليها البواعث الفردية والحوافز الاستثمارية ـ لم تفتأ مجهودات غاندى حول تدميج الروحانية فى علم الاقتصاد وتسويغ المذهب المادى، تضفى على آرائه فى تقليل الضرورات وتحقيق الاستثمان واختيار البساطة والاحتراز، والسعى للكفاف والتأديب الذاتى، كما ان المثل الاعلى لديه، ليس هو اى رجل اقتصادى ولكنه عبارة عن حر كريم، حى الضمير، واع بكيفية مألوفة، رحوم جذاب، جيد التأديب[2] ذاتيا، ذى شخصية سامية، اقرب ما يكون الى الله وأبعد ما يكون من البشر.

---

(١) مذهبي العبودية لله وان نخدم البشرية بناء على ذلك

.(Young India, 23-10-24, P. 350)

(٢) كل مفطور على الديموقراطية يلزمه حماية التدريب الذاتى ... فها انا ذا ادعى بانى ديموقراطى بموجب الفطرة والتدريب كليهما.

.(Harijan, 27-5-39, Pp. 136, 144)

تتوقف المحاولات ما كان منها انسانيا وما كان خلقيا واجتماعيا، فى فلسفة غاندى الاقتصادية على أساسيات روحية وذلك مما يقوم فارقا مميزا لها من فلسفات الرأسمالية والفاشيستية والشيوعية.

اما الفكرة الغاندية تسدد نحو كرامات ثلاث، كرامة الانسان، وكرامة العمل وكرامة القيم الخلقية. وكرامة الانسان تستلزم الاعتراف بمساواة أساسية بين بنى النوع بغير التمات ما الى شئ من فوارق الطائفية واللون والمعتقد والجنس والمولد والمنزلة الاقتصادية - ولا بد ان تعترف بالمماثلة فى اغتنام الفرص وباستقلال الرأى والعمل وبالاحترام التبادلى وبالسلام والمودة والرضى بأولية الرقى الانسانى على التقدم المادى. وكرامة العمل تنم عن الرضى بمصالحة كل يد وسخة وباتخاذ كل عمل مستقيم جديرا بالقبول والاحترام، ثم ان الشغل اليدوى ينبغى ان لايكون فقط مقبولا بالاحترام ومستصوبا ولكنه يتخذ ايضا معادلا لأى عمل إبداعى ورفيع من الناحية العقلية. وكرامة القيم الخلقية تضمن مقاومة الشر والميل الى الاجحاف والاستغلال وسائر مشاين التصرفات الفردية والاجتماعية.

اعتبر غاندى ملكية العقار والمواهب المطلقة الاخرى للطبيعة صفة ثابتة لحضرة الألوهية فشأن المجتمع والفرد عنده شأن الوصى[١] والأمين اعطى لهما مجرد حق الانتفاع منها. ثم ان السعى فى استخدام هاتيك

---

(١) يزودنا تحقيق الاستئمان بوسيلة لتحويل النظام الحالى للرأسمالية الى نظام مختص بالمساواة . . . نظام لايعترف باى حق للتملك الا اذا كان ذلك رخصة من الهيئة الاجتماعية على اساس فائدة تعود اليها بالذات . . . هذا وليس ذلك مانعا من اتخاذ قاعدة السلطة الاشتراعية للملكية واستعمال الثروة.

المواهب المطلقة، على وجه الاستغلال وهضم حقوق الآخرين، معصية ينبغى للمجتمع ان لا يسمح بها فدحض الملكية المقصورة على الفرد وقبول قاعدة عدم الحيازة على ما عرضهما غاندى، يحطمان بالكلية الأساس الخلقى لنظام الملكية الخصوصية وذلك كما لا يخفى نقلة ثورية فعلا عن تراكيب الرأسمالية التقليدية .

هذا وللفكرة الغاندى أن تقوم بدعوى اوليتها فى اتخاذ القسطاسين لقياس النشاط الاقتصادى، الذين لم يتعهد بشئ منهما آراء الفلسفة الاقتصادية سابقا - وهما «ساروديا» (Sarvodaya) أو أعطاء الكل، و «انتيوديا» (Antyodaya) أو الانعاق على الاقل الاسفل، وكان الجهاز الوحيد قبل غاندى لقياس أى نشاط اقتصادى، لدى الاقتصاديين رفاهة السواد الاعظم، على ما يعبرون عنها بقولهم الخير الكثير للجم الغفير» - فكانت الفكرة الغاندية نقلة من ذاك المقياس متبدلة به مذهب «السارفوديا» او الخير الكثير لكافة الانام . وهذا المذهب يتضمن بالبداهة مذهب الخير الكثير للجم الغفير - هذا وكانت النظرية المتقدمة فيما يرى غاندى قاعدة منفعية ولا غير[٢] - ومن هنا لم تكن هى تصلح لتنال الرضى من اى منقطع لعدم

(١) ان قاعدة عدم الحيازة تستلزم الاحتراز التام بكل شكل . (Harijan, 5-9-36, P. 236)

(٢) ليس من شأن المنقطع «لاهمسا» ان يرضى بالقاعدة المنفعية الخير الكثير للجم الغفير) ولكنه يكافح للخير المطلق للكافة - ويحاول تحقيق المثل الاعلى ولو بتضحية نفسه؛ انه يرضى لنفسه بالهلاك حتى يعيش الآخرون . (Young India, 9-12-26, P. 432)

العنف او «الاهمساء» (Ahımsa) وكان غاندى لا يؤمن اصلا بفلسفة الكفاح الطائفى كما انه لم يتراوح قط الى ان يحسب الرغبات الشخصية او الطائفية او الجمهورية متناقضة على الدوام بحيث انها لا تكاد تتصالح بعضها مع البعض اذا عولجت بحسن التفاهم وتبادل السلام وشعور التنازل عن شق والاكتفاء بشق . وهذه الروح الجوهرية للساروديا بذاتها تعتبر خطوة دوارة نحو الرقى ويمكن النظر اليها كحجر مهم وخطير تبرع به غاندى للفكرة الاقتصادية

وهناك قاعدة أخرى للمعايرة الاقتصادية ، قد عرضها غاندى وهى عبارة عن استنهاض ورفاهة اقل الناس رتبة كما يعبر عنها « انتيوديا »[١] اى الانفاق على الاقل الاسفل باعتبار الطبقات الاجتماعية التى قررها الكهنوت الهندوسى . ولم تكن أية خطة اقتصاديه ، عند غاندى خليقة بالتزكية أو بما يعاكسها على وجه التحتيم ما لم تختبر بمحك السؤال الأساسى : أنه ماذا عسى ان يكون تأثير هذه الخطة على الرجل الأدنى والطبقة الدنيا . فقد كانت عنده مصالح الضعيف والمؤطأ بالاقدام والمضطهد المنهوب تلك الضرورة الحيوية التى بناء عليها فقط يصح تحقيق أى مشروع اقتصادى .

ان الفكرة الغاندية لمذهب إيجابى فى فلسفة الاقتصاد ولقد تأتى لهذا المذهب ان يناهر بطريقة سائغة المعضلات الراهنة للاستنتاج والاستنفاد والمقايضة والمحاصة . وينبغى حسب ما يرى غاندى ان يتجز التصميم على الانتاج بموجب الاقتضاء العمرانى ولا بموجب النزوة الشخصية أو الشراهة .

---

(١) معنى الحرية التى أتمناها ان يتحرر الرجل المعوز

(Young India, 25-3-31, P. 46) .

وليكن ذلك على مقياس يحافظ عليه بالتأمين ضد طرز واساليب الاستغلال كلها . وكذلك الاستنفاد يجب ان يكون منظما بتقليل الضرورات وان يطرح أساسه على بساطة واضطرار واشتراك واتراك . والمبادلة لا بد ان تكون موجزة وسيطة الاسلوب بتوطيد اتصال مباشر بين المستمد والمستنتج وبحذف الوسطاء من بينهما ، ثم ينبغى ان يعاد تنظيم الأسواق وترتيبها الميكانيكى وان يدقق فى تعديلها ويراعى فى توجيهها لجانب الكفاية الذاتية ، هذا ولا بد أن يرتبط الاقتسام تماماً بالعامل المنتج حتى يجد العامل سهمه الأوفى وإنما يعاد تقسيم الدخل الجماعى بحيث ان يتبددوه حتى ان الفرص والمناسبات لتراكم الثروة تبقى محظورة بالكلية . وبالجملة فان مناهزة غاندى للنظام الاقتصادى الكائن ، كانت بتمامها ثورة الا انها لم تكن عنيفة متهيجة ، انها كانت تعميرية فى الاصل ولكن غير استسلامية وكانت تطورية ولكن غير سكونية وكانت صلبة المعجم وغير متصالحة ولكن بدون ان تكون تعسفية وكانت حاسمة لا تمشى بدون ان تكون غير عملية .

بناء على رأى غاندى تستوجب عملية التطوير الاقتصادى الاجتماعى ، لا مركزية[1] القوة سواء كانت القوة اقتصادية ، أو سياسية أو اجتماعية ـ انه ما زال يحامى عن العودة الى نظام الطوائف الفلاحية[2] التى كل واحدة منها

---

(١) تقتضى صناعة النسيج اليدوى ان يجعل الانتاج والاستنفاد لا مركزيين (Harijan, 2-10-35, P. 300).

(٢) اعنى بالحرية القروية أنها جمهورية بكل معنى الكلمة ، متحررة من نير الاصقاع المتاخمة فى ضروراتها الحيوية على انها تتوقف على غيرها فى امور اخرى كثيرة يكون فيها التوقف التبادلى ضربة لازب . . . وهنالك تقوم سلطة الجمهور المتأكدة على اساس الحرية الفردية (Harijan P. 238, 26-7-42)

تتوقف تقريبا على نفسها فى قضاء حاجياتها الأساسية ثم ان هذا التنسيق لفصل القوة عن المركز، يبتدأ من القرية التى ينبغى لها ان تتمكن من معظم القوات مع كون أقلها على المستوى الملى الأسمى. فكانت القرية هى النقطة البدائية كما هى كانت وحدة التشييد من جديد، وقاعدة الاتكال على النفس. هذا ويسعى ايضا ان تحرر سلطة الجمهور والمؤسسات الديمقراطية، ما زال غاندى فى تنسيق تلك الثورة الاجتماعية الاقتصادية، مؤمنا بمحاسبة النفس والفحص عنها ذاتيا ومتمسكا بصوت الضمير والوعى وتبديل النية، وكانت محاسبة النفس عنده حليقة بان تترقى على أسلوب تربوى، يضمن الاصلاح والمحافظة على البناء الفردى والعمرانى معا. واما تبديل النية بواسطة حلة الايثار، والتضحية الذاتية بدون صعيبة نحو العسوف المضايق فانه كان فى فلسفة غاندى يتوقف على إيمانه الأساسى بالانسان وكرم الاخلاق.

طال الفلاسفة الاقتصاديون على اختلاف مدارسهم، يعترفون بالترك والتضحية والبذل كالقيم الاجتماعية ولكنها مع ذلك لم تلق شيئا من الاعجاب والقبول فى المزاولة الحقيقية حتى ينطبع التصرف الفردى بطابعها وأما غاندى فانه أولا وقبل كل شئ واظب العمل[٢] على آرائه

---

(١) اعنى بما اقول انه. ما ان تلاشت القرى الا وتلاشت الهند ايضا. بل ولا تكاد الهند تبقى على ما نود لها ولابد اذن ان تذهب مأموريتها فى العالم أدراج الرياح (Harijan, 29-8-36, P. 226).

(٢) لا يلزمنا ان نرتاع من المثاليات او من تعاطيها عمليا، الى اقل الدرجات (Speeches and Writings of Mahatma Gandhi, Natesan, P. 353).

الاقتصادية واستمر يسير بموجبها ثم انثنى يقوم بالدعوة إليها، وذلك لما ان السنة مهما كانت حسنة فان الاتباع لا يأتون بها عمليا ما لم تتشكل هى فى الحياة الشخصية للقائم بها والداعى إليها فالنجاح الذى لقيته براج غاندى الاقتصادية لا يزال سره كامنا فى تلك المزية الخصوصية التى زودت أتباع غاندى بمتانة الخلق وهمة الادانة والأريحية. ولا غرو ان غاندى أحدث كتيبة ضخمة وهادئة للمهندسين الاقتصاديين والصناع المشيدين الذين كانت حياتهم الشخصية قدوة مثلى للاساسيات الاقتصادية التى بثوا الدعاية لها.

تعتقد الفكرة الغاندية مغايرة للشيوعية، بمقاوة الوسائل فيما يتعلق بالانقلاب الاقتصادى، فما أمكن لغاندى ان يتصور الاهداف السامية بدون وسائل قابلة التبرير ـ إنما الوسائل العسيمة تنتج بيئة فاسدة وهى بدورتها تحدث فسادا الى فسادها. كما ان البغضاء تنتج مزيد البغضاء والاستخفاف يعقب الاستخفاف مقابلة المثل بالمثل. لم يؤمن غاندى بسفك الدماء أو بالحركات التمردية لرسوخ اعتقاده فطريا وبما جبل عليه الانسان من الاحسان وفى الصدق وعدم العنف والوسائل السلمية التى بطريقة راهنة أثرت فى أساليبه الخصوصية للثورة الاقتصادية الاجتماعية هدا وكانت الوسائل

(١) لاتكاد تحصل الديموقراطية الحقيقية أو حكم الجماهير نفسها بواسطة عدم الصدق ولا بالوسائل القاسية ... يمكن للحرية الفردية ان تلعب دورا كاملا تحت سلطة «الاهمساء» المحضة فقط Harijan (P. 143, 25-5-39

والاغراض النهائية لديه قابلة التبديل[١] ومتشابكة[٢] ثم من المصطلحات المتقاربة المتجهة الى نقطة واحدة

ان العقوبات الاقتصادية التى قررها غاندى ضد الاجحاف والاستغلال المتفشيين فى المجتمع، هى عدم التعاون «والساتياجراها» (Satyagraha).

يعبر عدم[٣] التعاون عن تصميم العزيمة والارادة لرفض كل واحد من وجوه المعاونة والمساعدة أو المواطأة مع شئ من الاجحاف والاستغلال. وذلك لان معظم أزمات الظلم الاقتصادية الجدد نشأت فى الغالب بالتواطأ على هاتيك الاساليب المجحفة وباحتمالها مع السكوت عنها تشد حيازيمها بدل ان تفت فى سواعدها فليست حركة عدم التعاون تتحدى العسوف فقط ولكنها تعمل أيضا فى شاة اعتدائه الخلق وتضعف قوته. ويتجه «الساتياجراها» الى المكابدة والتعدية الداتيتين لنيل المثل العليا والقيم الحيوية. لقد زود «الساتياجراها» غاندى بقوة الحق او القدرة الروحية فان المثابرة على الحق لابد ان تورث صاحبها بقوة معنوية وتحرك عواطفه فتوسع نطاق تأثره

---

(١) الوسيلة والغاية كلمتان فى فلسفتى تقبلان التحويل (Young India, 26-12-24, P. 424).

(٢) هناك بين الوسيلة وبين الغاية تلك العلاقة المحترمة التى توجد بعينها بين النواة والشجرة (Gandhi, India Home Rule, P. 39).

(٣) ان المحور الأساسى على عدم التعاون، هو التمحيص الذاتى بسحب التعاون عن حكم جائر لا يرعوى. ويتلوه ثانيا ان نخلص انفسنا من الشعور بالعجز وعدم الحيلة، وذلك بان نتحرر بالكلية من هيمنة واستيلاء الحكومة *(Young India, 6-4-21, P. 106)*.

النظرى . وكما ان اساليب حركة الساتياجراها تختلف تماما عن الثورة القاسية فكذلك السلاح الذى يستعمله « الساتياجراها » يكون هادئا غير عنيف ومسالما غير مهاجم بالتزايد . ثم انه يستعمل فقط كسلاح نهائى فيما اعدته لرسالة المقاومة الاقتصادية .

ظلت الفكرة الغاندية تتوقف على هاتيك القواعد الأساسية اعنى الصدق وعدم العنف والسلام والبشرية الفاضلة والتضحية والعدالة[1] والحب والتفاهم وتتخيل لائحة واسعة النطاق لتحرير البلاد الهندية من الناحية الاقتصادية الاجتماعية . فكانت البرامج لتعمير الهند من جديد تنسق بموجب الظروف المحلية ووفق طبيعة القطر الهندى ثم انها استهدفت الرقى الاقتصادى والتقدم الاجتماعى معاً وفى آن واحد . وذلك لكونهما مما يقبل التغيير فيصيران متشابكين ومتوائمين فتلاصقين فيما بينهما . وبينما كانت أبعاض البرامج تعتبر جهودا اقتصادية لدعم مجتمع غير قاس كلوائح القماش الوطنى «كهادى» (Khadi) والصنائع القروية (Gramodyog) والتحظير على صنع المسكرات وبيعها ، وترقية الصنائع الوطنية (Svadeshi) وحماية البقر ، وتشييد الأرياف من جديد ، كانت هنالك برامج اخرى مهمة توضح عن قضايا الشعب لترقية وتعزيز تباشير المستقبل الجدد للتقدم البشرى والمادى . كحماية حقوق السفلة (Harijan seva) والتوائم الشعبى والتعليم الأساسى وترويج اللغة الهندكية والاصلاحات الاجتماعية .

هذه البرامج للتجديدين التوأمين الاجتماعى والاقتصادى ، بجانب تحريكها لوعى الجمهور والاستجابة والصحوة المألوفتين ، حققت أيضا وظيفتها كالأداة

---

(١) معنى حرية الهند عندى ان يحكم الشعب أجمع نفسه ، أو الحكم بالقسط (Young India 16-4-31, P. 79) .

لتجهيز الشعب للكفاح ضد السيطرة الأجنبية وكانت هى تمامها فيما يرى غاندى وسيلة مؤدية الى غاية واحدة فقط . وكان دولاب الغزل كرمزية البرنامج الاقتصادى لغاندى أعلى قوة المقاومة للنظرية الاقتصادية المعاصرة ولفلسفة التصنيع والتحضير الميكانيكى والتسويع التلقائى والتمصير . وكان عنده تحقيق الديموقراطية القروية (swaraj Gram) معوضة صحيحة من علة تحميل الطاقتين السياسية والاقتصادية فى أيد قليلة العدد التى تراود استغلال الجماهير بالكلية لقد أوضحت آراؤه فى تحقيق الاستئمان والتحكيم عن أدق الامكانيات الجدد لتوطيد صلات قريبة بين الاجير والمؤجر كما هى أعدت للمراملة الطائفية أساسا جديدا .

وقصارى الكلام انه ارتأى غاندى رأى العين الأهداف الجماعية الاقتصادية للهند المتمتعة باستقلالها كما كان لديه برنامج حافل لتقدمها المنضبط بموجب التصميمات ولولم تقدر لهذه البرامج ان تحرز بتمامها فعلا بسبب ما سبق لغاندى من اشتغال البال بمعضلة المنازعات الطائفية حتى انه فى مدة أشهر عديدة بعد ان تحررت الهند لقى موته الأحمر .

ثوا بعد تحرر الهند بلغ غاندى من التمجيد بحيث انه اشتهر كأبى الشعب الهندى ومقدم الرازة للنضال التحررى ولكن فلسفته الاقتصادية لم تزل مبوذة برمتها . ليس هناك أى رجل كبير أصلا عظمه أتباعه لدرجة التأليه ثم رفضوا الاعتراف بآرائه ومعتقداته الأساسية وأساليبه على فورهم الى هذه الدرجة المدهشة كدأب أصحاب غاندى فى رفض تعاليمه مع تعظيمهم إياه .

---

(١) ليست الطاقة السياسية عندى فى شئ من الغايات ولكنها احدى الوسائل *(Young India, 2-7-31, P. 162)* .

وربما يلوح كاننا انتهينا بالبت إلى أن غاندى كان فيما أدى الينا من رسالته متنبئا أفوكا وحالما متوهما، وناصحا كسولا، اكسبته فلسفته تحبيذا حارا مع تعذر السير بموجبها.

أما موقف الحكومة الراهنة من هاتيك المسائل كالحظر على المسكرات بيعا وصنعا وكالتعليم الأساسى، وفصل القوة عن المركز، والتصنيع[1]، والتسويغ[2] الميكانيكى، والتصميم، والتعمير القروى، وتقدير الضرائب الرسمية، واصلاح الأراضى، والمعونة الخارجية، والترسيمات العائلية، والحكومية، والحرية الشخصية، وعزة النفس، والبطالة، والمصلحة الادارية - فان ذلك ما لايزال محزنا بل وارتكاسيا من وجهة النظر الغاندية ثم انه يوضح فى الوقت نفسه عن مناهزتنا البليدة للمثل العليا والقواعد الاولية والبرامج التى كرس عليها غاندى حياته. فما ان اضمحلت روحه إلا واضمحل مذهبه الفلسفى مع التضحية الجسدانية له فيا للاسف.

وعلى رغم من هذا الموقف البليد الرجعى للحكومة الحالية ما زال المتحمسون من أتباع غاندى يقومون بكشف الستار عن نواح عديدة لتجاربه الاقتصادية التى لم تستكمل بعد، ولثورته الاجتماعية الاقتصادية على أساس

---

(١) انى لمرتاع من التصنيع ان يعود وبالا على النوع البشرى. فانما المذهب التصنيعى يتوقف بالكلية على حيلتك للاستغلال (Young India
P. 355, 12-11-31)

(٢) للماكينات محلها الخاص، وظهورها الى الوجود دليل بقائها ولكن لايؤذن لها قط ان تزحزح الأيدى العاملة وتلغيها (Young India,
P. 386, 20-11-24)

عدم العنف، التى قادها مدى الحياة، ولفكرياته السياسية ـ فاستمرت برامج إقطاع الاراضى، وبذل الثروة، واعطاء القرى، والعسكرية السلمية (Shanti sena) والتنظيمات الريفية. وحكم القرى نفسها، وصنعة النسيج اليدوى أو «كهادى» (Khadı) والتصنيع القروى، والتعليم الاساسى، واحترام وخدمة الرعاع السماة (Harıjan) والمؤاخاة العالمية، وإبطال التسليح، وسد مناشئ الحروب واتفاقية المذاهب العالمية ـ كلها يقوم بعبء تنفيذها عدد قليل من العمال المتحمسين الذين يمشون القدمية على غير ضخمة، تحت زعامة وارشاد فينوبا (Vınoba) وأمثاله ويبثون الدعوة للاقتناع باللوائح التى ليست الامن قبيل التمسيحات والتكييفات والتطبيقات لفلسفة غاندى الاقتصادية التى تحل بها معضلات مسائل الهند المعاصرة.

لاغرو ان هذا السفر لعيد المشقة وعاص بالعراقيل، ولكنه محتم لامناص منه ـ فان المجتمع المكتظ من المعارك الأيديولوجية بين الرأسمالية والشيوعية، يرتاح للفلسفة الغاندية وحدها، لكونها تضمن التلائم الاقتصادى والتعاون الدولى والتقدم المتوازن الأساسى مما يؤدى الى تطوير المعاشرة المختصة بحماية المساواة السارفوداوية حيثما تكون عناصر المساواة والحرية والعدل ومكارم الاخلاق والتفاهم، عن ائتلاف بعضها بالبعض تشكل حياة سياسية واقتصادية واجتماعية للشعب

تعريب:

ابو محفوظ الكريم معصومى

الرئيس الجديد لجمهورية الهند

للاستاذ : راہر احمد الفاروقی

انتخب الدكتور ذاكر حسين رئيساً لجمهورية الهند فى اليوم التاسع من شهر مايو - وهو ايضاً رجل عالم بارع كسلفه الممتاز الدكتور رادها كرشنان ويجمع فى داته الدورين التوأمين ، دور العالم ودور الاداری - ولاشك فى ان انتخابه لهدا المنصب هو احسن اختيار الشعب الهندى وقع على شخصية عظيمة علاصيتها بمواقفها الوطنية وكفاحها فى سبيل حرية الهند وبتمسكها بالعلمانية .

ولد الدكتور ذاكر حسين فى عائلة متدينة فى حيدرآباد فى الثامن من فبرائر عام ١٨٩٧ - وكان ابوه فدا حسين من سكان قائم گنج من اعمال فرخ آباد فى ولاية اترادرادیش - تلقى الدكتور داكر حسين تعليمه الابتدائى فى اتاوه وحصل على شهادة الماجستير فى كلية ايم - يو - بعلى‌جره - وفى غضون شبابه اذا كان متعلما فى كلية على‌جره تأثر بالحركة التى رفع لواءها المهاتما غاندى ورفقاؤه من الزعماء الهنود اى حركة عدم التعاون فالتحق بها - وفى عام ١٩٢٣ دهب الى المانيا وتخرج من جامعة برلن بالامتياز بشهادة الدكتوراة - ولدى عودته الى الهند وجد الدكتور ذاكر حسين ان حركة عدم التعاون قد خمدت نيرانها وطرأ الجمود على الشعب كله فصار منهمكا فى احياء الحركة واصبح نائباً لرئيس الجامعة الملية الاسلامية .

بدأ الدكتور داكر حسين حياته السياسية من على‌جره عند ما رفع ابو الشعب المهاتما غاندى لواء حركة عدم التعاون وطالب الى الشباب فى كل انحاء الهند قطع علاقاتهم مع المعاهد التعليمية التى كانت كثيرة منها تحت

النفوذ الاجنبي. كان الدكتور ذاكر حسين احد اولئك الذين استجابوا لهذا النداء واجتمعوا تحت لواء هذه الحركة - وعلى أثر هذا تأسست جامعة حرة من الاثر الخارجي على يد العالم الشهير مولانا محمود الحسن التي تعرف باسم الجامعة الملية الاسلامية وكان الدكتور ذاكر حسين زعيماً لفريق من الطلبة والمدرسين الذين اسسوا هذه الجامعة وهي احدى المعاهد التعليمية الكبيرة من نوعها في الهند - ويعود الفضل في سمعتها الى حد كبير الى الدكتور ذاكر حسين الذي كان مديراً لها لاكثر من عشرين سنة من عام ١٩٢٦ الى ١٩٤٨ - وبعد وفاة الزعيم الشهير اجمل خان، مؤسس الجامعة واجهت الجامعة عراقيل عديدة، كادت ان تحول دون خدماتها العلمية ولكنها بقيت تخطو نحو الامام بفضل المساعي المشكورة التي بذلها الدكتور ذاكر حسين لانقاذها من المشاكل والمصاعب - وبعد ذلك عين مديراً لجامعة على جره عام ١٩٤٧ وظل يشغل هذا المنصب الى ثماني سنوات ولعب دوراً هاماً في سبيل انقاذ الجامعة من الجو الطائفي وابلاغها الى الجو الجامعي - ونال منال الشهرة والقبول العام بمشروعه للتعليم الاساسي ومساهمته في التعليم - وله اتصالات مع يوسكو والخدمة الدولية الطلابية وخدمة الجامعات العالمية - وبذلك منحته الحكومة الهندية وسام «بدما بهوشن» عام ١٩٥٤ اعترافاً لخدمته الادبية والعلمية.

ظل الدكتور ذاكر حسين ينقطع من السياسة في هذه الاعوام اذ كان يشغل في الحقل التعليمي ولكنه التحق بالسياسة مرة اخرى حينما عين في سنة ١٩٥٢ كعضو في راجيا سابها او المجلس الاعلى للبرلمان بما انه كان رجلا

بارعاً تميز بذاته فى حقول الادب والعلم والفن والخدمة الاجتماعية. وبعد اربع سنوات انتخب مرة اخرى كعضو لراجياسبها ومازال يتولى هذا المنصب حتى عين حاكما لبهار فى شهر يوليو عام ١٩٥٧ وانتخب فى سنة ١٩٦٢ نائباً لرئيس الجمهورية. واثناء تولية هذا المنصب اظهر الدكتور ذاكر حسين حنكة وحدارة فى ادارة المناقشات وشغله باهلية فائقة حيث كان يعالج القضايا الوطنية باستحسان وحسب استحقاقها. والآن ينظر اليه الشعب آملا فى انه سيلعب نفس الدور الذى قد لعبه عند ما كان نائباً لرئيس الجمهورية وهو دور الحكمة والتجرد والقيام بحل المشاكل التى يواجهها الشعب والبلاد.

ولاشك فى ان الدكتور ذاكر حسين رجل فعال ويعتقد فى العمل لا فى القول كما قال فى خطابه الذى القاه الى الشعب يوم عشرين من مايو.

«تكلموا قليلا واعملوا كثيراً وان تقدم المجتمع رهن للتعليم وانى ما ازال اعمل كمعلم وافتخر به..»

وله اقوال اخرى تمثل شخصيته العظيمة ومن بينها بعض ما يأتى ذكره:

«الحرية شئ لايمنح بل يوخذ ولا يحميه احد الا من يأخذه فى كل دقيقة لحياته المشتغلة..»

* * * *

«علينا ان نثبت ان عملنا فى موقف الامن والسلام قائم على اعتقادنا فيه لا على مصلحة أخرى..»

* * * *

«الحياة الحرة واسعة وهى تطالب الى الامة العزم والنشاط.»

* * * *

«الحياة حركة لتحقيق الاغراض العظيمة والمحور الذى تدور حوله رحى الحياة هو الرقية والتنزل وليس الالم والراحة، هو معرفة النفس وليس النفع والخسارة، هو الايثار والخدمة وليس طلب المس.»

وانى احد حياة الدكتور ذاكر حسين مثلا عالياً لهذا المعنى الذى قد عينه للحياة البشرية.

* * * *

«الديموقراطية لا تجبر احداً على اى امر لا يرغبه فيه وتحتاج فى نجاحها الى المسابقة الشخصية.»

«لاينتهى نماء الحياة القومية ابداً بل يجرى دائماً.»

ولاقى انتخاب الدكتور ذاكر حسين ترحيباً عاماً فى كل انحاء العالم وقدم اليه كل من زعمائه اطيب تمنياتهم وعبروا عن سرورهم واملهم فى أن الشعب الهندى سيعيش عيشة الرخاء واليسر تحت قيادة الرئيس الجديد وان الصداقة بين الهند وبلادهم تربو وتنمو، وكذلك تناولت الصحف الهندية والاجنبية انتخاب الدكتور ذاكر حسين كرئيس لجمهورية الهند، فكتبت حوله المقالات الافتتاحية - ولا يكون ذكر بعض الاستعراضات فى غير محله

* * * *

«يواجه الدكتور ذاكر حسين التحديات الجديدة بطريق لايخالف الديموقراطية الصحيحة.» (تائمز اوف انديا - دلهى)

«بما انه ادى واجباته بجدارة فائقة حينما كان نائبا لرئيس الهند استحق الدكتور ذاكر حسين منصب الرئاسة، وهو ايضاً كسلفه رجل العالم الثقافى والدراسى اكثر من العالم السياسى.»

(انديان اكسبريس - دلهى)

٭ ٭ ٭ ٭

«هذا الانتخاب انما جاء كتصريح لليقظة الجديدة ودليل على ان الشعب الهندى لايتفكر على اساس الطائفة بل على اساس المدنية.»

(انديان اكسبريس - دلهى)

٭ ٭ ٭ ٭

«انتخاب الدكتور ذاكر حسين كرئيس الهند برهان على ان لكل فرد من سكان الهند حق مساوى ليتولى منصباً عالياً والانتماء الى دين لايمنعه من تحقيق اغراضه.»

(هندوستان تائمز - دلهى)

٭ ٭ ٭ ٭

«اظهر الشعب الهندى بانتخاب الدكتور ذاكر حسين ثقته فى مسلمى الهند.»

(هندو - مدراس)

٭ ٭ ٭ ٭

«اثبتت الهند بانتخاب الدكتور ذاكر حسين انها لاتفرق بين شعبها على اساس الطائفة او الدين - والعلمانية التى تقدمت تحت قيادة الرئيس الراحل جواهرلال نهرو تبقى الآن غير متخلفة.»

(ناشنال هرالد - كالكتا)

٭ ٭ ٭ ٭

«اوضح انتخاب الدكتور ذاكر حسين موقف الهند بانها بلاد عظيمة في آسيا تسير على خطوط الديموقراطية، ولا يستطيع اى تعصب دينى ان يسود دورها الذى قد لعبته فى سبيل القيادة الخلقية.»

(سندے كرانت - ملائيزيا)

* * * *

«تعتقد الهند فى مبادئ العلمانية كما يدل عليه انتخاب مسلم كرئيس الجمهورية الهندية.»

(استريت تائمز - بينانك)

* * * *

«لا يمكن ان لا يتأثر بانتخاب الدكتور ذاكر حسين صاحب الفهم والشعور السياسى.»

(رائزنك - نيبال)

* * * *

«أظهرت الهند نضجها فى الحقل السياسى مرة أخرى.»

(سيلون - آبزرور)

* * * *

«عرضت الهند مثلا عالياً للشعور الديموقراطى والسياسى بانتخاب مسلم كرئيس الجمهورية.»

(الرأى - كويت)

* * * *

«يعتمد الرئيس على الشعب الهندى فى لعبه دوره الهام كما أن الهند اظهرت اعتمادها على مسلم بانتخابه كرئيس جمهورية الهند.»

(كينبرا تائمز - استراليا)

* * * *

« قد اصبح الدكتور ذاكر حسين من الزعماء المعروفين نحو ديسرقيلى وكنيدى وميندس فرانس الذين كان الشعب يثق فيهم ولو انهم كانوا لا ينتمون إلى دين أغلبية بلادهم. (سڈنی مارنینگ هرالد -)

* * * *

« انتخاب الدكتور داكر حسين كرئيس لجمهورية الهند برهان على ان الهند لا تعبأ بالنسل والطائفة. » (كلاسكو هرالد - بريطانيا)

ملامح الهند

(٢)

الهند عبر التاريخ

ان ما نطلع عليها من الآثار للنشاط الانسانى فى الهند ترجع الى الفترة الجليدية الثانية اى الفترة المتراوحة بين ٤٠٠،٠٠٠ و ٢٠٠،٠٠٠ قبل الميلاد، وذلك بما تشهد لنا البقية الباقية من الاحجار والادوات الحجرية التى استخدمها الانسان البدائى، ثم بدأ عصر التطور ودرج الانسان الهندى فى مراحل التقدم ونال منه ما نال حتى نجده فى الالف الثالث قبل الميلاد، يحظى بحضارة خاصة وهى الحضارة التى اصطلحنا على تسميتها بحضارة وادى الاندس أو ثقافة هرابا.

وكانت تلك الثقافة الهرابية فى صميمها مدنية، واختصت منطقة كبيرة اشتملت على البنجاب (الشرقيه والغربية) ومنطقة «سنده» وكانت السلطة حينئذ متركزة فى المدينتين المردوجتين موهنجو دارو وهرابا، وكان المورد الرئيسى للعيش هو الوافر من الرصيد الزراعى، الذى كان الاهالى يختزنونه بالغ الحيطة والحذر فى المخازن المشيدة بدقة واتقان، وهذا مضافا الى الارباح الواردة من التجارة القائمة بين الشعب القاطن فى وادى الاندس وبين شعوب الخليج الفارسى وما وراء النهر، على انه لم يكد يمض عشرة قرون ان دالت الايام واخذ الانحلال حوالى القرن ١٥٠٠ ق.م. يدب الى المدينتين المردهرتين. وبجانب الاسباب الطبيعية المفضية الى الانحلال كان هنا سبب آخر وهو مواجهة القبائل الوافدين من الشمال الذين لم يكن لهم من الحضارة حظ يذكر.

وبعد قرون قليلة تسربت القبائل الاندوآرية عن طريق ممرات جبال هندوكش، وانحدرت الى السهول الشمالية واستقرت فيها وكانوا فرعا من الشعوب الاندواوربية لآسيا الوسطى.

وكان الآريون قوما رحلا بدويين لايعرفون الاستقرار، على انهم استقروا بالتدريج واختاروا الزراعة. وكانت فى ذاك العصر من المهن الشاقة، لان السهول الشمالية كانت مكتظة الاشجار ولم تكن الفلاحة امرا هينا الا بعد قطع الاشجار وتنظيف الارض وجعلها صالحة للزرع والحرث وهذا لم يكن - كما هو الظاهر - عملا هينا ولاسيما اذا لم تكن عند البشر ادوات، وآلات على انه تسهل الى حد كبير عند ما تعرف البشر استخدام الحديد حول القرن ٨٠٠ قبل الميلاد. ولكن مع ذلك بقيت مشكلة العثور على الاراضى الخصبة التى كانت عسيرة المنال، وادى الأمر فى كثير من الاحيان الى نشوء النزاعات والخصامات حول الحقوق الملكية على الاراضى الصالحة للزرع، واستفحلت بعض هده النزاعات وتفاقمت حتى اصبحت احدها نواة للملحمة الشهيرة «مهابهارت» فانها تسرد الحروب التى نشبت بين باندواس[1] وكوراس[2] لنيل السيطرة على الاراضى الخصبة فى شمال دلهى.

واخذ الآريون يوسعون فى سيطرتهم شيئا فشيئا فانحدروا الى الشرق فى قلب وادى نهر الجنج، والى الجنوب وراء سلسلة جبال وندهيا، ونجد فى راماينا بيانا تاريخيا ممتعا لتسرب الآريين الى المناطق التى تكون شبه الجزيرة الجنوبية فى الهند.

ومع ان الحضارة التى وجدها الآريون عند قدومهم فى الهند كانت اجنبية لهم، ولكن ما وجدوها فى جنوب البلاد اى الحضارة الدراويدية كانت اكثر غرابة. على ان الاحتكاكات والاتصالات لم تسفر دائما عن العداء والشحناء. ولكن شاءت الاقدار ان تصهر العناصر المختلفة فى بوتقة الصهر الهندى وتخلق شكلا جديدا لها، قوامه الوحدة والانسجام.

(1) Pandavas (2) Kauravas

واما مساهمة الطابع الآرى فى الثقافة الهندية فنجدها ذات نواح ثلاثة، فى الناحية الاجتماعية تطورت فكرة تقسيم المجتمع البشرى الى طبقات بعضها دون بعض، وانقسم المجتمع الهندى الى اربع طبقات رئيسية برهمن، آكشترى، ويشيا، وشودرا[1]. وانتشر هذا النظام الى ان اصبح من الامور اللازمة للولاء والوفاء بالمجتمع.

ومن الناحية الدينية، فسادت طقوس التضحية واصبحت اساسا للمراسيم الدينية، على افتراض انه لابد من تقديم الاضاحى والقرابين الى الآلهة اذا اردنا استمالتها واستجابتها لطلباتنا.

وكان من الطبيعى اذا افضى هذا الاعتقاد الى تركيز السيطرة فى يد الطبقة البراهمة (او القديسين) فان البرهمن كان هو الفرد الوحيد الذى يسمح له تأدية الطقوس الدينية.

ومر الزمن هكذا حتى جاء عصر التفت فيه العقول الى تدوين الافكار والنظريات الفلسفية لهذا العصر الآرى، فجمعت ودونت، واشتمل على مبادئ ما وراء الطبيعة وظلت لقرون تنال اعجاب العقول الهندية، وليس هذا فحسب، بل اصبحت فى نفسها أساسا لكثير من النظريات والافكار التى اختلف فيما بعد

وهذه النواحى الثلاثة اصبحت اساسا لكل تطور يحدث فى الفكر الهندى فلا تطور لاى نظرية مستحدثة، الا باقرارها او بانكارها، وهذا الاقرار والانكار ذات نوعين داخلية وخارجية.

وثبت نظام امتلاك الاراضى مشجعا قويا لتقدم التجارة واشتهرت بعض القرى والارياف فى انتاج الاشياء الخاصة، وادى الامر تدريجيا الى

(1) Brahman, Kshatrea, Vaishya, Shudra.

ثراء التاجر والى تحويل القرى الصناعية الصغيرة على مر الزمن مدنا صغيرة، لم يعد القوم الآرى يقتنعون بعيشة قبائلية، بل اخذوا يكونون لهم شخصيات جغرافية، فتكتلوا فى الوحدات السياسية الكبيرة، بعضها جمهورية[1] (مثل الحكومات لشاويس وشاكياس ومالاس) وبعضها الاخرى نشأت على نمط الامبراطورية (كما فى ماگدها، كوسالا، واوانتى.)

وتمتع الشعب فى الجمهوريات طبعا بحرية الراى والمهنة اكثر منها فى الامبراطوريات، ومالا يدهش المورخ ان اول تحد واجهته الارثودكسية البرهمنية، جاء من شخصين تربيا فى النظام الجمهورى وتغذيا بلبانه هما مهاويرا مؤسس الجينية وجوتما البوذا مؤسس البوذية، فلم يستسيغا فكرة الديانة التى كانت البراهمة يشرحونها، واستنكرا نظام الطبقية وقاما بالهجوم على تقاليد التضحية، ومما يذكر بهذه المناسبة ان فكرة الاحتمال وعدم العنف فى نفسها ثبت هجوما مباشرا على الفكرة البرهمية القائلة بالتضحية، ووجدت الديانتان الجديدتان فى طبقات التجار الاثرياء خير مساعد لهما كما استمال اليهما طبقة الزراع الى حد ما.

وان اهم الحدث السياسى الذى شهده هذا العصر هو تأسيس الامبراطورية المورية، التى ظهرت نحو نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وكان من الاسباب البدائية لتاسيسها هو اعتبار الضرائب المجباة على الاراضى كمصدر من مصادر الدخل القومى، وكاجراء عادى للحكومة، فكانت تلك الضرائب تصرف لسد الحاجات التى واجهتها الحكومة المورية فى مهامها العسكرية، وشئونها الادارية، مما ادى الى تنسيق نظام الجبى، وكان المورد الثانى لدخل الحكومة هو ما قررته الحكومة من الضرائب على الصناع وعلى اصحاب المهن المدنيين التى اعتبرت حجرا اساسيا لبناء الحياة المدنية.

---

(1) Licchavis, Shakyas, Mallas.

(2) Magadha, Kosala, Avanti.

وفى القرن الثالث قبل الميلاد جاء الامبراطور اشوكا واستوى على عرش الحكومة المورية، وتجلى عبقريته فى انه كان - كما يلوح - ملماً بكثير من المشاكل التى واجهت الامبراطورية المورية فى مراحلها المختلفة فرأى انه لابد من الانسجام بين الاساليب والاوضاع المختلفة للحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية اذا اريد الاحتفاظ والبقاء للامبراطورية.

وتوخى أشوكا تحقيق هذه المهمة عن طريق مبدء «دماء» (Dhamma) ومعزاه اشعار الفرد بمسئوليته الخلقية التى تفوق جميع الولاءات المحلية، وكان المتوقع ان يساعد هذا الاسلوب على تشييد اركان الامبراطورية، على أنه لم يقدر البقاء لا لسياسة دما ولا للامبراطورية، فان الشعور القومى لم يكن فى نضوج بحيث يكفى لربط الشعب برباط ولاء شامل.

وبعد ما تفككت اوصال الامبراطورية المورية، انتهزت الاسرات والاقوام المختلفة فرصة السيطرة فانقسمت البلاد الى حكومات متعددة. فحكم الهند اغريقيون فى اقصى الشمال، وخضعوا نهائيا لكشاس[1] الذين نشئوا فى آسيا الوسطى. وحكم شاكاس[2] (المنحدرون من آسيا الوسطى) الهند الغربية، وخضعت الدكن الجنوبية لتيار ستاواهاناس[3]، بينما وضعت فى اقصى الجنوب فى منطقة تمحور، نواة الثقافة التاملية، ونبتت شجرتها بوصة فبوصة.

وبالرغم من وجود جميع هذه المفارقات السياسية خلال العصر الممتد من القرن الثانى ق.م. الى القرن الثالث الميلادى كان عامل شامل مشترك يسرى فى عروق شبه القارة كلها وهو توسع التجارة الداخلية والخارجية عبر البحار مما يؤل نهائيا فى العادة الى مضاعفة القوة للطائفة التاجرة.

واولت الامبراطورية المورية عنايتها الى تحسين المواصلات بين مختلف انحاء شبه القارة، فسهلت بالطبع شئون التجارة فى شبه القارة.

---

(1) Kushans *(2) Shakas* *(3) Satavahanas*

والاتصالات اليونانية بين الهند الشمالية وبين الشعب اليوناني والامبراطورية الرومانية ، وكان لموانئ الساحل الغربي دور ممتاز في تنمية التجارة مع بلدان آسيا الغربية وفي الانقاء على هده الروابط التجارية لقرون ، وكان للرومان مع المنطقة التاملية روابط تجارية أكثر وأقرب ولا تزال في آريكاميدو[١] بالقرب من بانديتشيري[٢] آثار تشهد بانها كانت محطة تجارية للرومان .

وكان عماد وسلطة الطبقة التجارية رفاهتها التي كانت تزداد يوما فيوما ، فاصبح اصحاب الحرف يصرفون الآن على تنمية الفن كما احاطوا بالبوديين والجينيين بعطوفتهم ، وهدا هو العصر الذي بنيت فيه القباب الشهيرة في بهروت وسانتشي وامراوتي ، فضلا عن اديرة الهند الشمالية الغربية ، وعند ما تمتعت البودية بمساعدة الطبقة التجارية سيطرت على عدة امكنة واصبحت الديانة السائدة فيها ، وكان هدا للبرهمية تحديا حديا ، وارتحلت البعثات البودية الى خارج الهند الى آسيا الوسطى والصين وجنوب شرق آسيا .

ومما يدكر ان العقول بالرغم من كل ذلك لم تنس فكرة الامبراطورية ، وكانت هناك محاولات لاقامتها كلما سنحت الظروف ، فحد عدة اسرة تجاهد لاقامة امبراطورية كبيرة مسيطرة على جميع البلاد ، بحيث توازي الامبراطورية المورية ، ومن بينهم الاسرة «الجبتا»[٣] جعلوا منطقة «ماجدها» مركزا لهم تقليدا لبعض الاسر الاخرى وسيطر اسرة «جبتا» تدريجيا على وادي نهر الجنج والهند الغربية خلال القرنين الرابع والخامس من الميلاد ، على ان محاولتهم للسيطرة على شبه الجزيرة باءت بالفشل .

---

(1) Arikamedu (2) Pondicherry (3) Guptas

والجدير بالذكر ان عصر الجبتا لا يمتاز بالانتصارات العسكرية فحسب بل يعتبره التاريخ فترة النشاط الفكرى والثقافى وفترة نشوء الاوضاع الادبية والفنية التى عرفت فيما بعد كمعايير كلاسيكية. وبلغت الفكرة العلمية، ولا سيما فى حقول الاسترانومى والميتافيزيقى، وعلوم المعدديات، ازدهارا غير مسبوق، وكانت البحوث الفلسفية تهم ذوى العقول والارباب، وظهرت مسرحيات واشعار كاليداسا تنفخ روحا جديدة فى الادب السنسكريتى ونماذج النحت فى معابدهم والرسوم فى أجنتا تعبير ثان للمستوى الراقى الذى تمتع به التعبير التحليقى.

وفى أثناء ذلك كانت شبه الجزيرة تسمى طابعا خاصا للروابط السياسية، لا تدخل فيه من الشمال الا محدودا. فكان النصف الجنوبى لشبه القارة يحكمه قوتان احداهما جنوب غربى دكن وثانيتهما تامل ناد فى تمحور. ودام النزاع بينهما منذ نشأة البالواس فى القرن الخامس فى تامل ناد الى خمسة قرون تقريبا وحارب البالواس[1] الشالوكياس[2] وورثتهم راشترا كوتاس[3] وشولاس[4] الذين حلوا البالواس فى تامل ناد فى القرن العاشر حاربوا الاسرات التى تلت راشتراكوتاس الشالوكياس الثانين ويادواس[5] وهوايسالاس[6].

وأما حكومة شمال غربى دكن فلم تكن ناجحة الى هذا الحد فانها كانت مرغمة على بذل الاهتمام بوادى نهر الجنج الذى كان على مقربة منها.

ومن الناحية الثقافية فكانت حكومة دكن حلقة اتصال بين الشمال والجنوب، فكانت نظمها واوضاعها تعبيرا لعناصر المنطقتين. واما الحكومات القائمة فى اقصى الجنوب فقد احتفظت بنوع من الانعزال وتقدمت بالاستقلال بنفسها، ومع ان الطبقة العليا للمجتمع قبلت النفوذ الآرى

---

(1) Pallavas (2) Chalukyas (3) Rashtrakutas

(4) Cholas (5) Yadavas (6) Hoysalas

من الشمال ، واخذت تستخدم اللغة السنسكريتية وتساهم فى طقوس الويدية ، ظلت البقية الباقية متمسكة للثقافة الداروبدية القديمة ، الثقافة التى لم يجد الآريون بدا من الانسجام معها ، ونذكر على سبيل المثال عبادة الاله شيوا ، التى كانت اجنبية للثقافة الآرية . والاهتمام على الشخصية المحلية ادى الى قيام احدى الحركات الدينية الاجتماعية الممتازة للعصر ، فنمت العبادة التاميلية لشيوا ، ولم يستسغ عبدة الالهة ويشنو والالهة شيوا طرق الديانة البراهمية ، ونشروا عوضا عنها ان عبادة الاله الحقيقية تكمن فى عكوف الذات وفى توطيد علاقة الحب مع الاله .

وهذه الطرق التاملية لعبادة شيوا ثبتت مستساغة لعقول الطبقات الادنى من المجتمع فانجذبوا اليها ولا سيما الصناع والزراع ، فانها كانت بالنسبة لهم ديانة تبررها العقول ، وانتشرت هذه الديانة بالتدريج من الجنوب الى الشمال .

(يتبع)

تعريب ص . عامر الانصارى

لمحة عن شخصية الدكتور ذاكر حسين

الاستاد عبد الرمان الكيراوى

الحصول على مركز القيادة، وتبوء مكانة الصدارة، فى أى عصر من العصور، امر يتطلب استعدادات خاصة عالية، وكفاءات ممتازة. وقد توافر للدكتور ذاكر حسين من تلك الملكات قدر وافر، مما جعلته يتبوأ بين مواطنيه من قادة حركة تحرير الوطن المبررين.

ولقد استمر الدكتور ذاكر حسين بعد استقلال الهند، فى الحصول على المناصب العليا، عن جدارة واستحقاق. حتى جاء يوم ٩ مايو سنة ١٩٦٧ م، الذى اذيعت فيه نتيجة الانتخاب بفوزه بمنصب رئيس الجمهورية الهندية ارفع مناصب الدولة - وقد رشحه حزب المؤتمر ضد مرشح احزاب المعارضة، شرى ك سوباراو، رئيس قضاة الهند السابق.

ان الخدمات المشرقة، التى اداها الدكتور ذاكر حسين فى تحرير الوطن، وفى ميدان التعليم الوطنى، بتطوير المنهج الدراسى وما اظهره فى هذين الميدانين من البراعة والكفاءة، لم تكسبه شهرة فى الهند فحسب، بل عرفه العالم كله بما وهبه الله من ملكات وكفاءات ممتازة.

كان الدكتور ذاكر حسين مولعا بالعلوم، والدراسات، فقد امضى جزء من حياته متفرغا للامور الثقافية والمناهج التعليمية، ولكن كان هدفه من ذلك بناء اسس تعليمية جديدة خدمة للوطن الذى كان فى سبيله إلى الاستقلال والتحرير.

وهو لهذه الميزات يعتبر «معلما»، ومتخصصا فى شئون التعليم ومناهجه، قبل ان يكون زعيما سياسيا. فقد انخرط فى صف قادة الفكر قبل ان ينضم إلى رواد حركة التحرير. فقد ظل الدكتور ذاكر حسين يسعى، فى ميدان التعليم قبل استقلال الهند وبعده، لوضع منهج تعليمى، يتفاعل مع الطاقات المدمجة فى الحياة القومية.

ويوجد شبه كبير بين الرئيس السابق، الدكتور رادها كرشنان، والرئيس الثالث الجديد الدكتور ذاكر حسين، فكل واحد منهما يعتبر «معلما» كبيرا. وكلاهما امضى مدة طويلة فى ميدان التعلم والتعليم، وقد اظهر كل منهما المقدرة الممتازة، والكفاءة الفائقة فى هذا الميدان.

وكان مما قاله الدكتور ذاكر حسين، عند ما كان نائب الرئيس للجمهورية الهندية: «انه لاينبغى ان انسى، انى كنت معلما، ومن اجل ذلك اصبحت اليوم نائب رئيس للجمهورية» والدكتور ذاكر حسين على الرغم من خدماته القومية، ومكانته المرموقة رجل مجبول على التواضع، ومما يدل على ذلك قوله بطريقته المخصوصة: «ان المجتمع الذى يستطيع ان يظهر رضاه لخدمات معلم، ولو انه لم يكن يستحق ذلك، لاشك فى انه مجتمع صالح».

وعمل الدكتور ذاكر حسين، بنشاط عظيم، مدة طويلة، فى ميدان التعليم الابداعى. ولكنه إلى جانب ذلك، رمز للقيم الحضارية العظيمة. وهو اساسيا يحب العقلية فى الفكر والعمل المحبين للانسانية، ويتمنى تطوير الحياة البشرية.

وقبل ان ينتخب الدكتور ذاكر حسين رئيسا للجمهورية الهندية ظل يتقلب فى مناصب ممتازة. فقضى مدة ثلاثين سنة كنائب رئيس

الجامعة ، وقضى عشر سنوات وهو حاكم ولاية ، ثم نائب رئيس للجمهورية الهندية . وقد كان يؤدى دائما المهام المسندة اليه ، وما كانت تلقى على كواهله من اعباء المناصب الرفيعة ، خير اداء . وينص الدستور الهندى على أن نائب الرئيس هو الذى يرأس جلسات «راجيا سبها» فكان يقوم بهذا العبء الثقيل . احسن قيام طوال المدة التى شغل فيها منصب نائب الرئيس . وكل قراراته التى اصدرها بصفته رئيسا لـ «راجيا سبهاء كانت مؤسسة على حرية الفكر والحايدة . والآن وقد أسندت اليه مسئوليات الحفاظ على «الدستور» ، يرى الدكتور ذاكر حسين انه ينبغى ان تكون العلاقات بين الولايات والمركز مبنية على التسامح وفهم كل للآخر .

وهو من اجل رزانته ، وبصيرته ، وحبه للعلوم والفنون ، كلما تجتمع به شخصيات عالمية ، من قادة الفكر ، والخبراء السياسيين ، والاحصائيين فى شئون التعليم ، والمهندسين والبارعين فى مختلف الفنون ، يستأنسهم ويأتنسون به . ويلمسون فيه روحا لطيفة تقدر مواهبهم .

وهو يعتبر من بناة «الجامعة الملية الاسلامية» التى كان الهدف من انشائها اثناء الحرب التحررية استخلاص نظام التعليم من نفوذ الانجليز ، وتطهيره من آثار الثقافة الاجنبية .

وكان المهاتما غاندى يحبه كثيرا . واقترح جواهرلال نهرو اسمه لترشيحه لمنصب نائب رئيس للجمهورية الهندية . وعند ما قام الدكتور ذاكر حسين بزيارة رسمية للبلدان المجاورة والصديقة للهند ، بعد انتخابه نائب رئيس الجمهورية ، استقبل فى كل بلد بترحاب وحفاوة عظيمة ، كما يستحقه زعيم انطوت شخصيته على القيم التاريخية لبلد عظيم ، وعلى ما تمتاز به هذا البلد من تراثه القديم العظيم .

وبالرغم من زحمة الاعباء التى يشتغل بها، وكثرة الخدمات التى يؤديها الدكتور ذاكر حسين للشعب والوطن، يدخر بعض الوقت للتمتع بجمال الطبيعة، وروعتها الخلابة. فهو مولع بالازهار، ولذلك يهتم بالاشراف المباشر على حديقته المنزلية. وإلى جانب ذلك له أيضا شغف بجمع الاحجار القديمة.

وفى السنة الماضية لما منحته جامعة ماليزيا، شهادة شروية ذكرت من بين اعماله الخالدة، وميوله الفطرية لطرقه العميقة فى طبيعة الازهار. وقيل ان درعته هذه تعطى لمحة عن شخصية تهتم كثيرا بالطبيعة والحياة الانسانية. شخصيته تؤمن بأنه ينبغى ان تكون الحياة جميلة، وبعيدة من الامراض والمصائب.

وله مهارة خاصة فى ان يبين الحقائق الدائمة باسلوب سهل، وبكلمات ساذجة. فهو يؤثر كثيرا على السامعين فى خطبه التحريرية، بعمق فكره، وحسن تعبيره، وسهولة لفظه.

وظل التعليم مسيطرا على فكره وعمله، مدة تزدو على اربعين سنة. وليس معنى التعليم عنده ان يحشى الدماغ الفارغ بالمعلومات، وانما هو عبارة عن اتحاد الحواس الذهنية والاخلاقية والجسدية اتحادا فطريا. وهو يؤمن ايمانا أكيدا بان الدماغ انما يمكن اصلاحه بالمعنى الصحيح اذا شغل باعمال انشائية يكون اسلوبها تعليميا. وان الفكرة التى فى ذهن الدكتور ذاكر حسين عن التعليم، تحتل فيها شخصية الفرد مكانة مركزية.

ويرى الدكتور ذاكر حسين انه ليس من المناسب ان يجعل التعليم تابعا للسياسة. انه يشبه التعليم بنهر يجرى فى الميدان ببطء. وقال ان مقصد

التعليم هو الحب للقيم الخالدة، وذلك يقتضى صبرا غير محدود. فى حين أن السياسة انما تريد تدعيم شبكتها القومية، ولذلك فانها بالطبع تقتضى الاستعجال والكيفية المناقضة للصبر والاناة.

وينتمى الدكتور ذاكر حسين إلى اسرة افغانية، وهى تقطن فى قرية بمديرية فرح آباد منذ عدة اجيال. وولد الدكتور ذاكر حسين فى ٨ من فبراير سنة ١٨٩٧ م بحيدرآباد التى كان ابوه فيها يمارس المحاماة. وحصل التعليم الابتدائى فى اتاوة ثم انتقل إلى عليكره للدراسة العالية فى كلية ايم. اے. او.

وفى العصر الذى، انتهت فيه دراسته كانت تجرى فى الهند حركة التحرير الوطنية بقيادة المهاتما غاندى وشيخ الهند مولانا محمود حسن (رح)، فتأثر الدكتور داكر حسين بهذه الحركة. ولكنه بدل أن يساهم فيها مباشرة قرر لنفسه العمل على وضع نظام قومى للتعليم يتوافق مع حضارة الهند وتقاليدها المثلى وتعاون معه فى هذا المجال الشبان الآخرون. فحاولوا ان ينشئوا معهدا تعليميا فى عليكره مقابل الجامعة الاسلامية (Muslim University) التى كانت تحت النفوذ البريطانى آنذاك ثم انتقل هذا المعهد إلى دلهى، ويعرف الآن «بالجامعة الملية الاسلامية».

ومكث الدكتور ذاكر حسين وهو يحاول ان يوجه التعليم وجهة جديدة، ثم سافر إلى برلن للحصول على الدراسة العالية فى الاقتصاديات (Economics). وبعد رجوعه من برلن تولى تنظيم الامور للجامعة الملية الاسلامية. وقد استفاد فى تجاربه عن «التعليم الجديد» بنظريات خبراء التعليم الاوربيين.

وفى سنة ١٩٣٧ م لما وضع المهاتما غاندى نظرية التعليم الاساسى، اختار الدكتور داكر حسين لرئاسة اللجنة القومية التى كانت قد شكلت بهذا

الصدد. فساهم الدكتور ذاكر حسين فى نشر فكرة تعليم اساسى يركز اهتمامه المركزى على العمل - مساهمة فعالة وممتازة.

وفى سنة ١٩٤٨ م اسند إلى الدكتور ذاكر حسين منصب نائب رئيس الجامعة الاسلامية بعليگره (Vice-Chancellor) بعد أن ظل مرتبطا مباشرة بالجامعة الملية الاسلامية ارتباطا قويا مدة أثنتين وعشرين سنة. وبقى فى هذا المنصب إلى سنة ١٩٥٦ م. وإلى جانب ذلك ظل عضوا فى مختلف اللجان والهيئات التعليمية. وهكذا استطاع الدكتور ذاكر حسين ان يقوم باعمال جلائل، وخدمات مشرقة فى كل ناحية من نواحى التعليم.

وفى ٦ من يوليو سنة ١٩٥٧ م عين حاكما لولاية بيهار. وفى نهاية ميعاد هذا المنصب، انتخب الدكتور ذاكر حسين نائبا لرئيس الجمهورية، فى ١٣ مايو سنة ١٩٦٢ م.

وفى يوم ٩ مايو سنة ١٩٦٧ م اصبح الدكتور ذاكر حسين الذى يبلغ من عمره الآن ٧٠ عاما، رئيسا للجمهورية الهندية العظيمة، وهكذا جاء خلف المفكر مفكر.

قصة

جبابرة الأرض

للاستاذ فوح ناسوء
(الحائز على الجائزة الأدبية الرسمية)

إنه أعد حوضا للزرع أمام كوخه فى وسط الفناء، فالتبدت فرخان الأرز لما أصابها من العيث قبل أوانه . كان (تتابار) يصحبه المطر إليها كلما خرج إلى الحقول مع محراثه ثم إنه يرمقها عند ما كر راجعا ، واعتاد غب القائلة أن يجلس على عتبة الباب مدخنا بنارجيلته ويرنو إلى حوض الزرع .

ذات يوم اشتكت حليلته (سوداميى) بزكام ساخن ، فكان ذلك ضغثا على إبالة وهنالك اندفع المسكين (تتابار) يقول فى نفسه أى نعم ! هذه الدار لسنا نسكنها إلا كما نقيم تحت أغصان تمر الهند الفينانة ، فانها لاتزال ترتشح بالقطر حتى بعد أن ينقطع المطر طويلا فماذا نصنع إذن بخصوص ذلك ؟

على بعد عشرة أميال بالضفة المحاذية من ضفاف نهر (بهدرا) سكن عم لرفيقته وكان بالأصح موفقا ذا يسار فأتاه (تتابار) وقال : « يا عم أعوزتنى للغاية بالات قش عديدة ، كى أسقف بها مسكنى . انما ابنة اخيك كبنت الملوك فما ان أدركها المطر إلا وهى طريحة فراش لما أصابها من البرد . »

فلما آنس (تتابار) من عمه لحليلته لعثمة قال له :- أى عم ! لا تلحلح ، فانما بينى وبينك تربص أربعة أشهر فقط ثم أرد اليك ما أعطيتنى من القش وزدت عليها إبالة تنالها منى بطريق الربح ـ لقد حصلت من الاقطاعى على عين قنطرة للسرى وسترى كيف تغل فداديني الثمانية هذه المرة فتملأ أيدينا من الذهب والفضة .

فى فترات ارتياحه من العمل رمم (تنابار) سقف بيته . فكان يجثم على السقف ورفيقته (سوداميني) ترمى إليه بحزم القش ولكن لم يكن شئ منها يقع بيد (تنابار) بل ويتدحرج لكون السقف سهل المنحدر وهنالك يصرخ (تنابار) قائلا : «آه ! ما أقوى يدك ، أنت عديمة الأهلية يا قريتى ! ولكن امرأة مثلك تصلح فقط لأشغال منزلية ؛ هاتى القش بتحذر وإذا رميت فصوبى» .

هذه المرة كانت رفيقته متحدرة حدا حتى أن الوقش تواصل لا إلى السقف فقط ولكنه وقع على ظهر (تنابار) الذى صاح : «أح ما هذا !» وكأنه هم أن ينحدر الى امرأته المحبولة فيغطسها فى الماء والطين ويتركها تغطس فتقع فى الوحل تارة بعد أخرى .

عاد الكوخ بعد تسقيفه من جديد بهى المنظر وجميل الرواء ؛ رقد (تنابار) فى الشرفة الواسعة حيثما استطاع أن يسمع حفيف النسيم من خلال أشطاء الأرز فى الحوض ، وبدت هذه الأشطاء كأنها تترمع اذ كانت محبوسة فى شقة ضيقة بصحن الدار محاطة بالخروع وتحن إلى حقول واسعة الأرجاء وراء منبتها المتضايق ، واعتاد (تنابار) أن يحقق برأسه ويبتسم ويتمتم كما أنه يكلم نفسه ـ انتظرى ، فإنى لاأزال أفض قطع التراب الصلبة أجهز لكن مضجعا رخواً ولابد أن أوصلكن جميعا إلى ذلك المكان الوثير حالما فرغت من اصلاحه فالأناة الأناة

واتفق ذات ليلة أنه انتبه (تنابار) مذعورا .

نزل المطر بمنتصف الليل فكان ما ساقته الريح من الترشاش الى السدة أخضل (تنابار) من الرأس الى القدم فتحول هو منكمشا الى موضع

الفرن وجعل يأخذ نفسا من أركيلته ولها بقبقة جهورية وبدأ يفكر فى تبلج الصباح وأن هذا الليل الطويل متى ينجلى - هذا وجرر (نتابار) فراشه تلقاء الحائط وتمدد على قفاه مرة أخرى، إلا انه مازال متململا فلم يستطع ان تغتمض عيناه - إنه قام من مضجعه مستعجلا يأخذه العجب من أن الصبح كيف لم يكن يتملق، ثم اندفع الى الباب بفروغ صبر وهو يقول :- قومى يا رفيقتى! وعجلى إنك ترقدين رقدة الميت، استيقظى وأشعلى القش فضلا منك ».

قامت (سوداميني) تفتح الباب وهى تفرك عينيها تزيل منهما النوم، وفى أثناء ذلك أخرج (نتابار) الثورين من الزريبة ووضع المحراث على كاهله فعاتبته (سوداميني) قائلة : « انما انت فيما يظهر لى كرجل مخبوط، أما تستطيع مطلقا أن تغمض عينيك فقد بقى ربع الليل بعد ».

« ربع ؟ اف لاتستحمق » - ولكنه اذ صعد النظر فى السماء وجد نفسه أحمق، بالأصح وذلك ان ضوء القمر المتشعشع من وراء الغيوم أحدث هذا المنظر يتراءى كالفجر الماكر.

« ما اغرر كان ذلك الشؤبوب » - قال (نتابار) - « غير أنك لاتعرفين عنه شيئا، انما كنت تسحرين فى النوم - انى لاظن أن فراخ ارزى نمت وكبرت طول هذه الليلة قدر شبر نهائيا ».

انما انفجر الماء بحريره من القناية وانطلق (نتابار) الى الحقل مع محراثه وثوريه وكان تحقيقا لرضى نفسه علق أجراسا حول عنقهما - وشيئا فشيئا اضمحلت طنطنة الأجراس؛ وأما (سوداميني) فمشت عبر الساحة الموحلة وانتهت لدى سياج النجوم والنباتات ساكنة، وقالت وهى تفتكر

فى نفسها : « طيب ! كل ذلك حسن » وما استطاعت أن تعود الى المضجع ، وإذن سنحت لها فرصة أن تتعاطى بشغل منزلى ، فاتخذت خليطا من الطين والسرجين وبدأت تطلى به الصحن وتكنس الأرضية ومع ذلك فان الليل لم يحل بعد ؛ وبينما هى كذلك ريعت بكيفية مستغربة اذ أحست بما أصاب بعلها من وعكة حتى أنه لايكاد يعمل الخاطر فى شئ ما غير حقله ، ولايتلعثم فى الخروج بمفرده من داره فى آناء الليل كلها ، فهى خافت عليه من بعض الارواح الخبيثة ، وعلاوة على دلك فعسا أن تعترض له بعض الهوام والثعابين وهو يجتاز البرية .

وعند تفكيرها فى الثعابين ارتعدت (سودا مينى) فاذا هى تناحى إلاهة الثعابين قائلة : « ياربة ماسا ! فضلا منك ، تجاوزى عنه (تريد بعلها) .

فى نفس دلك البرية كان أبو زوجها يعمل فاتفق أن لدغه ثعبان ، فلم يلبث أن مات ؛ وقع هدا الحادث قبل مدة طويلة وكانت الأحراش والغابات إذ ذاك أزيحت تماماً تحضير البرية صالحة للزراعة كان ذلك قبل ان ترد (سوداميى) الى هده الدار بل وحينما كان بعلها (نتابار) طفلا صغيرا فقط وانما دمعت عينا (سوداميى) اذ قص عليها (نتابار) هذه القصة .

ذات يوم كانت (سوداميى) فى المطهى تطبخ من الأرز طعاماً تبعث به الى (نتابار) فى حقله إذ سمعت أصوات الطبول ـ طبطب . . طبطب . . فلم تلبث أنها أهرعت الى الخارج لتعرف مادا حدث هنالك تماماً او تقريبا ـ كانت الضجة تسمع من ناحية الحقول فلمادا كانوا يضربون بالطبول قبل ان ترتفع الشمس تماما ولم يكن دلك وقتالخروج العريس فى موكبه الى بيت العريسة ، فلعل ذلك طبعا فى عريس عند منصرفه الى بيته

مع العروسة ـ وهناك على طول الرصف الى جنوب حقول الأرز ممر للمجتازين ينتهى الى الحى حيثما يسكن أعيان القرية ـ نظرت (سوداميى) الى تلك الناحية بعيون كواشف ورأت من المارة رجالا اصطادوا السمك بالفخ أو بالشبكة ولكنها لم تجد هنالك أثر المجمة تحمل العريسين .

بعد هنيهة عاد (نتابار) بمحراثه ومواشيه فقالت له : ما القضية ، لماذا رجعت مبكرا جدا ؟ قال لها بابتسامة ضئيلة ـ « لاشئ ، لاتنزعجى يا رفيقتى ! وافرشى لى حصيراً» قالت : ما حظك وما بالك لاتكلمنى بسرك ؟ وتقدمت اليه تأخذ منه المحراث وتمسك بالحبال والثورين ، وظلت تنظر الى (نتابار) بلواحظ غارقة فى الحنان .

قال (نتابار) عرانى صداع وجيع ، ولم أستطع أن أنتصب فى الحقل الا بالكاد

وبحسب الواقع انه انتصب بصعوبة وقط ففرشت له (سوداميى) حصيرا استلقى عليه وعلى الفور أغمض عينيه ثم انه لم يقم من فراشه طول النهار ولا للغداء. جاءته (سوداميى) غير مرة تجس نبضة ولكنها لم تجد به من بأس وشيئا من أثر الحمى .

هكذا انقضت أيام عديدة وصار (نتابار) كأنه ممسوس بسقم غريب ويدوم طريح فراشه ما يعيش ـ وفى اثناء ذلك وجدت الحقول ماء غزيراً فكان (رياتات) و (قاسم على) وآخرون يشتغلون بالقيام على مصالح حقولهم بلا انقطاع ثم أن السماء أغدقت حالا فزادت فرخان الزرع نموا وكثافة وبعدئذ اتفق ببعض الليالى أنه انتبه (نتابار) ونادى قرينته يقول : « قومى على العجل وأشعلى القش لى فضلا منك » .

مذ ذاك الحين فصاعداً أخذ (تنابار) يذهب الى حقله عند ما يخيم الليل ويعود الى بيته فى الهزيع الاخير ولم تطق (سوداميني) أن تصطبر على ما دها بعلها من سر غامض فقبضت على يديه ذات يوم وسألته .

« ما خطبك ؟ قل لى من فضلك . »

« لا شئ فى الواقع » قال (تنابار) دون ان يهتم بما أصابها ـ « انما الشمس تورثنى صداعا فلا محيص لى عنها إلا أن اعمل فى طخية الليل » .

ذات مرة بعد ان أغطش الليل قدمت (سوداميني) طعاما الى (تنابار) وهى جالسة بين يديه على الأرضية وقدامهما مشعل من زيت الغاز ـ لقم (تنابار) لقما عديدة ثمّ انه ضحك بغتة وقال : طيب يا رفيقتى هذه مأدبة دسمة ، كيفما تقدرين على ان تناولينى كل يوم طعاما مثل هذا ؟

فعلا كان ذلك عشاء شهيا قدمته هى الى بعلها فكانت هنالك عصيدة أعدت بالقند علاوة على أدم من العدس وخضر البقول كانت (سوداميني) تجيد الاستحلاب وكانت عند (هرى تشرجى) بقرة صعبة لاتنقاد بسهولة فاحتلبتها (سوداميني) هذه الغداة وفى مقابل هذه الخدمة اعطيت قليلا من اللبن وشيئا من القند فتيسر لها نهائيا ان تصنع بهما عصيدة ولكنها كانت بالطبع تأنف من الاعتذار عن شئ ومن ايضاح سبب فقالت : « دع عنك هذه الأسئلة » ثم انها عارضته بقولها ـ « أنا سيدة هذا المنزل فمن أين لك ان تعيب خطتى » .

رد عليها (تنابار) ضاحكا ـ كذلك فليكن يا رفيقتى ! ولكن افعلى امرا واحداً فقط ، أو تفعلين ؟ أطفئى المشعل . فانى لا اكل سمكا حتى نفتقر الى ضوء المصباح نتوقى شوكة تشوك . ولو ان رجلا موسرا تغاضى عن الاضاءة الى هذه الدرجة فانه لم يشب أن فقر .

سودامينى قطعت عليه الكلام : «وأنت هنا ثانيا، فقال لها (تنابار) وهو مقطوع الرجاء «خير، انا مرتاع انك تطلبين غدا فلسا معادلا لزيت الغاز» ؟ فردت عليه :

«لا ، لا اسئلك غدا ولا بعد غد ولكن عليك بالسكوت . من أنى لك ان تستطيب الطعام اذا كانت ثرثرتك بهذه الكيفية .»

من بين أدغال الخيزران الملتفة خلص ضوء القمر الملتبس الى صحن الدار واستمر (تنابار) يتخيل بينما هو يأكل ان النسوة يكن من جهة المطرة مبذرات . أى طائل تحت إتلاف زيت الغاز بهذه الكيفية وفى هذه الساعة عند ما كانت لنا فى ضوء القمر كفاية بحيث نبصر ما لدينا وحواليبا».

إذ سمع كلب وتطلع (تنابار) للخارج باشتغال البال وقالت (سودامينى) بالتوكيد «لاشئ هناك . أما (تنابار) فاسترخت أنامله كأنها كانت عديمة العصب ولم يستطع هو أن يرفعها الى فيه .

«لماذا تقوم ؟» سألته (سودامينى) وهى مندهشة، فقال : «أظن هنالك ابن آوى وعلى كل حال فلابد ان اخرج وانظر ماذا هناك ، فلا تريمى مكانك».

مازال المصباح يضئ ويستنفد زيت الغاز وكان ذلك تبديرا يليق ببعض بنات الملوك ولكن (تنابار) لم يطل التفكير فى ذلك بل كان يتطلع لجهة الممر الذى انساب فى معتكر الليل .

انه أطفأ المصباح بالنفخ واندفع مستنقذا من (سودامينى) التى حاولت أن تمسكه حتى ينصرف فاختفى عن النظر فى ملك الظلام .

اذ ظهر (مانيك) رسول مكتب الممتلكات للاقطاعي وهو مائل في صحن الدار يسرح النظر الى هنا وهناك ثم يسأل: أين هو ؟ (يعني تتابار)

«أما هو بالدار».

هرب قبل الآن ! هه.

ثم اخذ (مانيك) بطمأنينة دكة وجلس عليها فوق السدة. ثم أدلى شفتيه من الغضب قائلا: أكاد لا أقبض عليه ولو حضرت محتفيا كالطيف في ستار الظلام إلى أى حد بلغ الناس من المكر والخديعة في هذه الأيام ثم انه قال اسوداميني: أشعلي المصباح أيتها المرأة الكريمة كما كان ذلك يضئ من قبل».

أشعلت (سوداميني) المصباح وانطلقت الى المطهى ساكنة لاترد عليه بشيء.

ضحك (ما نيك) بصياح وقال يا ترى! لقد تمتع (تتابار) بوقت هنئ؛ هنالك عصيدة وكعك إن هذا الوقت عيد مبهج؛ أما الآن فاسمعى أيتها المرأة الطيبة! نوليني آنية خزفية وما أنا أحتاج اليه من الارز والعدس وشيئا من الحطب والقش.

ردت عليه سوداميني: أنا أطبخ طعامى ههنا.

قال مانيك: أعطيني بعد حصيرا أضطجع عليه وذلك لأن السيد المخور لهذا البيت لايلقاني بسهولة».

كانت سوداميني نظفت سدة بيتها بعناية كبيرة وطلتها بروث البقر فاذا بدأ (مانيك) يجرف ترابها بشراسة، فأحست سوداميني كل قرعة

للمجرفة كما أنها تشق ضلعا من أضلاعها حتى أنها ردعته بعنف: «ماذا أنت تفعل ؟»

وكان خلف الكوخ فرن كبير يحيط به دغل الخيزران وفى زمن الشتاء كانت عصارة النخيل تطبخ وعلى هذا الفرن تحول الى دبس السكر، ولكنه الآن كان مليئا بالتبن وهشيم الورقات اليابسة .

هنالك كانت الغابة الكثيفة تحيط بالمكان بحيث لم يستطع احد ان يبصر الفرن بدون صعوبة .

انطلقت (سوداميني) الى الفرن وجمعت الأوراق والهشيم بيديها إلى أكداس مكدسة وقالت . «هل أنت حى بعد، أم قضى عليك اللدغ حية ؟»

لم يأتها رد على ذلك فرفعت سوداميني صوتها قائلة : «كرمانا لله، اخرج الى العصا. هل أنت سارق او لص حتى تروح مختفيا، تعال وانظر ماذا أحدث الرسول، هو بالدار يكسح الأرضية».

همس إليها (نتابار) قائلا : هس ! لا تفارقى الصواب يا حبيبتى ! أما تدرين انه لرمى كراء ثلاث سنين للاقطاعى .

كان مانيك رجلا شاطرا، ومنذ اول الأمر عرف ما يكاد ياتى به (نتابار) من ضروب الحيل فانطلق فى استخفاء على اثر (سوداميني) واستوقف الكلام قائلا : من ذا هنالك يتكلم من جوف الفرن ؟»

لاغرو ان الولوج فى أى مكان ضيق يسهل عند الفزع ولكن الأمر يستفحل لدى الخروج فبدأ (نتابار) يستعمل شتى الحيل وهو يتمتم فى

كل ذلك : آه ! يا أخ لاتضحك على انني لموجع بتمامى اسحبينى يا قرينتى حتى اخرج ، امسكينى ههنا بكتفى واسحبينى . أى نعم اسحبينى بتمام قوتك» .

إنه خرج بكيفية مؤلمة فحدثت على عاتقه خدوش كما تورم مواضع من جسمه بما أصابته قوارص الحشيش ، وكيفما كان فانه تكلف بان يحدث على وجهه بشاشة حارة ويتعلل قائلا : أنا كنت جد مشغول بازاحة الحشايش والهشيم من الفرن ، انظروا ! كيف اكتأت الاعشاب والتفت فى المكان وحواليه » ، هذا وما زال (مانيك) يتلوى ضاحكا ويقول ـ « صحيح تماماً ، ولكننى ظننت أن ثعلبا وقع فى جوف الفرن . »

« هذا هو الصواب » رد عليه (تنابار) وهو يهز منكبيه ـ « وإلا فماذا نحن ؟ انما الثعالب تختفى فى جحورها اذا أفزعها الناس ونحن كذلك نصنع اذا كنت انت نقرنا ؟

بقى تنابار هكذا يمازح ويتقهقه لوقت يسير ثم إنه على غرة أمسك بيدى الرسول (مانيك) كلتيهما واستعطفه بما قال : أيها الاخ ! ارجع الى مكتب الاقطاعى وقل لهم ابى غير موجود فى بيتى ، انى لابد ان أدفع اليك مايلزمنى من حقوقك » ـ بسط اليه (مانيك) يده قائلا : هات الآن هاتما الشريطة النقد . »

« أما اليوم فلا ، بل ولا بعد غد ولكننى لابد ان اؤدى اليك فى ساحة السوق ؛ لا أملك الآن فى الواقع شيئا من الفلوس ؛ قسما برماد أبى انه لايوجد هنالك فى بيتى نحاسة . »

« هذا ما لايفى بالغرض » ـ أعلن الرسول ، لا أستطيع ان أقول كذبا لمولاى الذى وظف لى معاشى واعلم ان مولاى الصغير ورد اليوم من المدينة وهو لايزال متبرطما ، فهيا بنا » ـ إنه قبض على يد تنابار بصرامة .

حضر نتابار مكتب الممتلكات للاقطاعى كالمجرم الذى قضى عليه بالاعدام وكان الاخ الاصغر للاقطاعى رجلا قليل الكلام فبدأ يقول:

«لقد بيعت أرضك بالمزاد بموجب أمر عال أصدرته محكمة القضاء، لأجل متأخرات الديون..»

نتابار: «نعم يا سيدى!»

«ولقد جرى الاعلام بالحيازة علانية بقرب الطبول..»

نتابار: «أجل ياسيدى!»

وكان مأمور التنفيذ فى شغل عن ذلك كله بحسابه، فاذا هو من فوق نظارته رمق وقال:

ويضاف الى ذلك ياسيدى! أنى ذات يوم كنت افتصلت الثورين من محراثه وابعدته من المزرعة..»

السيد الصغير: ومع ذلك فانى سمعت انك للآن تحرث الارض فى ظلام الليل، الى اى حد بلغت فى الجارة!»

مأمور التنفيذ: حسبنا هذا صراحة يا سيدى: ولكنى متيقن ان (ركموناطشا) أمده بالمال وهو بهذه الطريقة يريد ان يستبق حيازة ارضه..»

«لا أريد أن أتحمل مشقة المرافعة إلى محكمة الجنايات فى بعض مراكز الاقليم الادارية، لاجراء القضاء على مثلك» - قال السيد الصغير متواصلا به - «ولكننى فى عودتى من كلكتا أحضرت سوطا دقيقا لأجل السير فلل فى ذلك، فيما أظن كفاية لأمثالك، فهل تريد أن تشاهده؟»

استغاث (تتابار) فى شدة الألم : «آه ياسيدى ! منذ ثلاث سنين متأخرة هدمت السيول جنابية النهر وغمرت حقولنا وإنى بجهد جهيد أحصل منها على الكفاف وما أقتات به أما ديونك فلا أملك شيئا أستعين به فى قضائها - وإذا هو يخرعلى ذقنه ويتمسك بقدمى السيد - أما هذا العام فلعل الأمور تختلف والأمل معقود على وفرة المحصول وعلاوة على ذلك فانى زرعت قليلا من الأرز كنت احتفظت به للطعام . والرجاء فيك أكيد ياسيدى ! أنك الآن تدعنى فضلا منك فانما أنت بمنزلة الأب ونحن العيال عليك ولن نؤخر بعد أداء مليم واحد من حقك . »

«هلم إلينا يا تتابار ! » - قدم هذه الملاحظة مامور التنفيذ - «حقا تنتهى ممتلكات السيد الى مصيرها العجيب لئن أخذنا نتوثق برجل مثلك » - ثم قال وهو يتظاهر بعدم الاكتراث : «طيب ! طيب ! هات حوزتى محهزة . أى نعم ومما تملك أدت فرخان طيبة ، فهل تملكها ؟ »

تتابار : «تلك أملكها يا سيدى ! »

مأمور التنفيذ : «فكم من الأرض يغطى حوض زرعك ، هل يغطى زهاء سدس فدان ؟ »

تتابار : بل أكثر من ذلك يا سيدى ! »

مأمور التنفيذ : طيب جدا ، فكأنك تريد أنه يأتيك من المحصول ما يعادل عشرين روبية ! » هذا ونظر مأمور التنفيذ الى (مانيك) رسول المكتب قائلا : «كيف كان ذلك كله ولم يتفق لنا أن نسمع عن شئ ؟ »

طبق (تتابار) يديه وهو يتمتم بشئ غير واضح حتى أن مامور التنفيذ دخل بين السيد الصغير وبين (تتابار) قائلا : «نعم ذاك ما فعلناه

ولا بد أن نفعل شيئا وسنصنع شيئا ما فيما يتعلق بأفراخ زرعك . أما الآن فاستأذن السيد وانصرف على عقبيك . »

قال السيد الشاب : « يا هذا ! تركتك الآن فاذهب ولكن ينبغى لك أن تفطن بأن الأرض تنتمى الآن الى الاقطاعى فاياك ان تعود ثانيا لحرثها » .

عند ذلك أومأ (تنابار) برأسه كما أنه المذعن المنقاد وخرج ولكنه كلما فكر فى الأمر ضحك من أعماق قلبه ويذكر ما قال له السيد الصغير « إياك أن تحرث الارض ثانيا » ويقول فى نفسه أف ما أبعد هذا القول من الصواب ، كأنى رضيت بأن أترك فرخان ارزى الثمينة وهى تتقفع فى حوضها لاعوازها العناية بها وأما مأمور التصيد فليس هو فى الواقع رجل سوء ولعل عنده من معنويات الرأفة والعواطف السيلة بقية حرمها غيره ولوكان هو أحماها ، فلندعها إذن . . . »

كانت (سوداميى) خرجت مستقيما إلى قارعة الطريق تنظر رجوع زوجها فما إن رأته منصرفا إلاسألته « ماذا حدث ؟ »

قال : لاشئ مطلقا ، بل السيد رجل كريم »

قالت : وأنا ايضا أعرف كرمه تماماً ، ثم أخذتها البحة وهى حزينة للغاية ـ ولكن قل لى بالصدق هل ضربوك على حرثك الأرض ؟ »

قال : ضربونى ! ويا لهذا ـ وحملق (تنابار) فى وجه زوجه لشئ من الحيرة والارتباك ـ « وهل هى كانت أرضا محرمة على بالقانون ، من حدثك بكل ذلك ؟ أقول لك ان السيد لرحوم كالآلهة » .

قالت : « نعم ، قد علمت أنهم جميعا كالآلهة ، أى نعم إنهم جميعا حتى أن رسول المكتب فى ضمنهم ، فقد باع هولاء أرضك بالمزايدة وأتموا

الصفقة ضربا بالطبول فقط وطردوك من أرضك التي توليت حرثها وقمت بعمارتها من لدن أبيك وجدك ، على أنك مذ ذاك آثرت الصمت شبه اللزيق «ولا تكلمنى عن شئ مما وقع غير أننى سمعت عن كل شئ» - ثم انبرت هى تبكى .

«وماذا كنت قلت لك يا رفيقتى !» - بدأ نتابار يتكلم بعذوبة اذ أحس بخطائه ، - «ولماذا نذمهم وهم لم يصيبوا منذ ثلاث سنوات متوالية شيئا من الكراء» .

هنالك حتى غضب (سوداميني) وهى تقول : «صحيح ، هم لم يستلموا شيئا من الريع ولكنك ماذا استلمت ، وانت لاتزال تستهلك من قوة اعصابك قليلا قليلا فى انشغالك بحرث هذه الارض ليلا ونهارا دائبين طوال هاتيك السنوات ؟»

يحاول نتابار تلطيفها : «هونى عليك يا حبيبتى ! اذ لايجدينا ان نستشيط غضبا ؛ أفيمكن لهم ان يتركوا ريعها ولقد أنفق الاقطاعى فى اقتناء صنيعاته قسطا كبيرا من المال ؛ واليوم فقط ذكر لى ابنه الصغير أنه لم يحصل حتى على الربح الذى ثمره رأس المال .»

قالت : «ومات حوى لديغا بينما كان يحرث لهم تلك الارض وأولاده لايحصلون منها حتى على أدنى معيشة ولو بكد يمينهم . ولكن ذلك طبعا بدرجة اللا شئ عندهم .»

كان (نتابار) على الصواب ولكن امرأة الفلاح السادحة البلهاء هذه كانت غضبانة بدون أن تدرى هذه الحقيقة البسيطة أن المواشى كثيرا ما تردى تحت النير بأداء جرها للمحراث وكذلك الناس يموتون إما بلدغهم

الأفاعى والحيات واما تبيدهم جوائح الوباء والهيضة . انما يموتون كالذبان فيقعون فى بعض البرارى برائن الاسود الضارية او يغرقون فتلتهمهم التماسيح وهكذا يخلون أماكنهم للمتخلفين ولله در المتنبى :

سبقنا الى الدنيا فلو عاش اهلها　　منعنا بها من جيئة وذهوب

تملكها الآتى تملك سالب　　وفارقها الماضى فراق سليب

وقع ذلك كذلك مد طوال الحقب وفى أثنائها تمصرت الأمصار حيثما كانت الأحراش والغابات المليدة تغطى وجه الارض فتسكنها الوحوش وتأوى اليها الهوام والحشرات ، فبدلت الوحشة بالأنسة وصارت كرة الارض تفتر مباسمها والذين امتلكوا هذه العقارات يزورون فى بعض الأحيان أملاكهم وضيعاتهم وتلك المناسبات جرت العادة على أن تقام لهم مآدب فى مكتب الضيعات فتضئ المصابيح اضاءة تبهر العيون ويمتلأ السماط بأنواع السمك المتوافرة والحلويات المتنوعة ومع ذلك فان الخدم تماماً على وعى أن لاينقصها شئ ما . فمن ذا فى دعوتهم المقرى نفطن بما يلقاه الفلاح المسكين من البوار ولماذا يذكر ذلك . .

لقد خلا الوقت الطويل ليلا ونهارا ولم يستطع نتادار ان يفعل شيئا ، من بين تلك الأراضى السحة الواسعة كانت فدادينه وحدها خاوية شاغرة . إنه كثيرا ما تردد إلى الرصف وجلس هنالك بحسرات مؤلمة فى قلبه . لاغرو ان كان الآخرون فرغوا من شتل الزروع فقد وقع هذه المرة ما يقع فى الندرة فقط انهم احتاجوا الى نزح الماء من المزارع وذلك لان اله الالهة هذه المرة أعطى كثيراً غزيراً فالقت السحب أرواقها والامطار موسيقى ذات جرس ومعها الأشجار المصطفقة والنجوم المخضرة والحقول

المخضلة والمسالك المتسلسلة كلها تقوم بدورها من رفع المقبرة بترتيلات مؤتلفة ـ وفرخان الزروع فى حوضها تتمايل نشاوى فى الهواء الطلق ورشاش المزن فلا يقر لها قرار كالصبيان الشرد وهى تكاد بلسان حالها تقول : يا هذا ! خذ بأيدينا الى وسط البطيحة حيثما شمس الظهيرة تضئ على رؤوسنا والماء يترقرق على الجوانب كلها والسيول تتدفق وتياراتها تتسلسل من بعد خمسة أميال او عشرة والبروق الخواطف تمصع فى السماء من أفق لآخر فيا لها من عيشة راضية مرضية ربما عاشها نتابار مع محراثه ومواشيه وتماها فى صمت ، بينما قطعة أرضه البائرة بدت الآن كأنها غارقة فى اللهف والابتهال .

فى مثل هذا الحين تذكر (نتابار) كلمات حوشية لسوداميني . . . « يجب أن لاتزرع الارض . . كما أن احداً يحظر عليه حرثها ؛ لقد مات والدى بلدغة الافعى ، ثم إننا أجعنا أنفسنا لنزرع شيئاً قليلا من الأرز الذى ملكناه ـ فهل يأخذون أرضى من حيازتى ! أو ياخذون ؟ كيف استحقوا أن يسلبوا من الفلاح المسكين ما امتلكه هو ؟

إنه ذهب الى مكتب الاقطاعى وأجهش بالبكاء بين يدى مأمور التنفيذ : يا سيدى ! كيف يمكن لى ان أعيش بلا شغل فى بيتى ؟ »

« ما بالك ؟ »

« إن المزرعة الشاغرة تؤلمنى كلما جلست على عتبة الكوخ أرمقها وكيفما استطعت أن البث متبطلا وأنا حلس بيتى فاسمح لى من فضلك أن أنقل فرخان الارز الى المزرعة ولو قضيت على بمصادرة الغلة قضاء مبرماً . »

« كيف أعطيك الرخصة فى حين أن السيد مبتعد عنا ؟ ولكن الأوامر فيما نرجو ستواصلنا من المكتب الرئيسى وهى تكون قاطعة . »

بعد ذلك اعتاد (تنابار) ان يحضر مكتب الاقطاعى كل يوم تقريباً فقال ذات يوم لمامور التنفيذ : «صارت صغار النبت تتجعد أمام عيني كنت يا سيدى أتأتى انه سيقضى فى ذلك امر ما.»

طمأنه مأمور التنفيذ قائلا : أى نعم، وإذا قلت لك شيئا فهو مما سيكون بالحزم، انما الأوامر القاطعة تواتينا عما قريب.»

فى النهاية وردت الأوامر وكانت فى الحقيقة قاطعة بالست تؤكدها خواتيم المحكمة وذلك أن (تنابار) استيقظ ذات غداة فاذا هو يرى البقرات سائمة فى حوض زرعه.

«آه ! ما هذا ؟» صرخ تنابار «بصوت جهورى فى شدة الألم وانطلقت البقرات اذ هجم عليها (تنابار) بعمود خشب فى يده. وحينئذ خطا اليه (تشرن غوش) خطوات سريعة يقول لماذا تشرد بقراتى، انما أديت اثنى عشرة روبية فى هذه المقاولة.»

«المقاولة !» وشخصت أبصار (تنابار).

جاء (مانيك) رسول المكتب لاجراء مقاولة الحيازة فأوضح الأمر تماماً، أن المزرعة بيعت بالمزايدة ولكن الصفقة المتدرجة لم تأت بما يساوى تمام المبلغ المطلوب حسب الامر العالى للمحكمة، وبناء على ذلك أضيفت إليها أفراح الارز فى حوضها وكان (تشرن غوش) لبانا عنده بقرات عديدة وكان العلف قليل الوجود فاشترى هو ما فى حوض الزرع بثمن أداه نقداً ولذلك أحضر مواشيه هنا وأرسلها ترعى.

«ذاك صحيح» - قال تنابار واغرورقت عيناه بدموع سخينة - «ولابد أن أثنى على فطنتك يا اخى مانيك ولكنى اقول : أما أمكن لك أن

تبيعها إلى رجل فلاح ؟ فعندئذ كانت أفراخ زرعى تتمتع على الأقل بأن تعيش قائمة على سوقها فى الحاقل عوضاً عن كونها علفا للبقرات . »

لقد فرغ مايك من أداء الرسالة وانطلق يتضاحك . فاذا تتابار يزمجر ويهدد فى وجه (تشرن غوش) ويقول له - « اذهب ببقراتك مدحوراً والا . . . . »

« وإلا فماذا ؟ أتظن أنى أنفقت من طيب مالى عشا ؟ » - رد عليه تشرن غوش بالمثل . وكان تتابار عديم الصبر فقال :

« أنا فلاح لا أكاد أسمح لبقراتك أن تلتهم أفراخ الارز ولكنك تفلت ببقراتك وأنا أقتلع بيدى فرحان زرعى فتذهب بها وتطعمها بقراتك فى بيتك . . »

فى أثناء ذلك رأى تشرن غوش ابنه (كانو) يأتى من بعيد وهو يسوق لا دابة أو دابتين ولكن تمام قطيع البقرات لابيه تشرن غوش والآن قويت شكيمة تشرن غوش ولعله وجد نفسه أقوى من خصمه ولكن تتابار انبعث متصاولا وأخذ يعدو بعرض حوض الزرع من جانب لآخر بهراوة فى يده يهزها خلف البقرات وهى تجفل أمامه تدوس فرخان الأرز الى أن تركت تلك البقعة الى سحة موحلة فى حين أنه كان تتابار يهتف بأعلى صوته : اخرج اخرج من قطعة أرضى » .

حضر (كانوا) وهو يركض فانبرى الوالد والولد معاً يقاومان تتابار ويصيحان به أن يتوقف ولكنه أصيب (تشرن غوش) بضربة على حنكه من عمود تتابار . وهنا أظلم كل شئ فى عينى (تشرن غوش) فانطرح مغشيا عليه وهو يصيح : « آه ! أهلكنى » وبدأ (كانو) يستصرخ

ولم يكن (مانيك) رسول المكتب بعيدا جداً فما ان سمع الضوضاء الا انصرف اليهم يركض وانجفل العمال من حقولهم والقرويون كلهم على الغالب رجالا ونساء واحتشدوا هنالك وفى الختام جاء مامور التنفيذ وبقى ساكتا بتقدير هيبة ثم قال : « هكذا النملة عند ما يحين حتفها تتطاير . »

ولكن الآن أيما كان المذنب يوجد ؟ إنهم بحثوا داره ونقبوا عنه فى الأماكن الخفية كلها فلم يعثروا منه على أثر . وانما اختفى عن الابصار كالطير الخاطف .

استمر هذا التبوش الى أن اكفهر الليل فأخذ الناس يتفرقون شيئا فشيئا وينصرفون الى دورهم واحدا بعد آخر حتى أن هذا المكان الغاص بهم ساده الهدوء مرة أخرى .

لم تجد (سوداميى) فرصة لاعداد شئ من الطعام . إنها ظلت تبكى فى زاوية بيتها منذ أن تألب عليها الجمع فأوسعوها زجرا وتبكيتا إذ لم يظفروا ببعلها . ومازال مصباحها يضئ حتى اذا انتصف الليل رأت فى ضوء المصباح شبحا يسعى الى بيتها فارتعدت وقامت مذعورة فاذا هو نتابار يدخل كوجه سرا ويقول لها همسا رفيقتى ! كيف كان (تشرن غوش) . »

« صحيح تماما » ـ قالت سوداميى ثم سكتت هنيهة كأنها همت أن تتمالك دموعها ثم انثنت تواصل كلامها : « وهل استمكن احد من ردعى وتسميعى اكثر مما سمعنى هو وأقدعنى فكيف استطاع ذلك لئن اصابته الضربة حقا ! »

هنالك نفس نتابار عن نفسه الكربة وقال ـــ « هو كان متصنعا ولم يكن تدهوره على وجه الارض مغشيا عليه إلا تظاهرا فقط بشئ لم يقع ـ وقد كنت عرفت عنه ذالك فور وقوعه منبطحا على وجه الارض »

قالت سوداميني : «ولكن مأمور التنفيذ لايكاد يعفو عنك ، فانه على الفور غادر لمركز الشرطة حتى يراك مصفداً مكبولا وقد توعد بتخريب دارنا وانه يطاردك عنها .»

بذلك امتقع نتابار وازداد وجهه شحوبا وهو يقول رادا على رفيقته ـ «ولماذا هو يبقى على ومن ذا على وجه الارض يستبقى على أى واحد بعد أن أمسكه فى مخالبه ـ وفضلا عن ذلك فان المرء يكاد اعتياديا يكتسب شيئا فقط اذا ما استطاع أن يربأ على آخر ويخرج مركزه» . ثم قال لها نتابار لقد عضنى الجوع فهل عندك شئ نأكله ؟ قالت : لم يكن عندها شئ من الطعام ولا أمكن لها أن تهيئ شيئا ما ، مهما يكن تصديها لذلك لأنهم فى شدة النقمة على نتابار حطموا الفرن واوانى الطبخ كلها تحطيما ثم انتهضت سوداميني تسحب نتابار قابضة على يده وهى تقول :

«هلم لابد أن نبرح هذا المكان» .

تبسم لها نتابار ابتسامة مكتئبة إذ انها كانت شابة قليلة العمر بالنسبة اليه وهى انتقلت الى دار بعلها قبل بضع سنين فقط فلما توسم نتابار فى وجهها لم يقدر على مضادتها وقال غب لعثمة طفيفة : «فلنبرح ، وبما انهم لايعطوننا قطعة من الأراضى ، نروح الى عمك وقد سمعت أن الناس هنالك كانوا يحاولون إزالة الادغال والأحراش حتى يحصلوا على أراضى يزرعونها .

أنهما جمعا من أثاث البيت ما تركه الناهبون فشداه الى رزمة ونظرا الى الكوخ نظرة المودع فانطلقا وما ان خطوا خطوات يسيرة الا تريثت سوداميني .

فقال : «ما الامر ، لماذا تتوقفين ؟» .

قالت : « انما تركنا المصباح مضيئا » .

قال وهو غير مكترث ـ « دعيه يضئ فانه لابد أن ينطفئ بنفسه » ـ

ولكن سوداميني لم تصغ له فدخلت الكوخ وانصرفت على الفور المصباح المضئ فى يدها ثم انها اهوت به الى السقف المغمو وكما تقدم كان الكوخ مغطى سقفه منذ عهد قريب جداً فاستطار اللهيب فى حلك الظلام ولما رأى ننادار ان النار علقت بالسقف انصرف يعدو الى رفيقته قائلا : « ماذا تصنعين ، تحرقين الكوخ هل أنت مجنونة ؟ »

أما سوداميني فاستغلب عليها الضحك ومهما اشتد اللهيب استطارة اشتد ضحكها حرارة . وقالت تصيح بماذا تهتم ؟ ايش هذه الدار لنا الآن ! ليست هذه دارنا . هذه يملكها الآخرون ، فدعها تحترق . »

إنها ألقت بالمصباح وقبضت على يد ننادار تعدو على طول الرصف واستطاع ننادار بصعوبة أن يتمشى معها ، « قف حبيبتى ! قف » ـ انه قال ـ « فانك أخذت فى سمت ودار عملك وبها أعلم فى سمت آخر مخالف . أما هذه الطريق التى سلكناها مستفضى بنا الى التهلكة .

عمد ننادار الى ان يمازحها وقال . « يا لهذا الرأى ، يا لهذه الأمنية ! إنك لاترالين شابة قوية فلماذا ترغبين فى إبادة نفسك . »

« أجل انا راغبة فى اهلاك نفسى » قالت سوداميني ـ « لأننى أريد ان أقول لهذا الاله الجبار لنا : لماذا أرسلتنا الى هذه البسيطة لئن كنت بنفسك على وجهها معنا توزعك الآخرون تماما . »

تعريب :ـ

(الاستاذ ابو محفوظ الكريم معصومى)

الانباء الثقافية

مسابقة دولية

المعهد الهندى للدراسات الاسلامية

شارع پنج كوئن نيو دلهى - ١

يعلن جائزة نقدية قدرها خمسة ألف عشر روبية
لمؤلف مبتكر فى نواحى الاسلام المختلفة

نظراً لاثارة الرغبة فى تلك الفروع من الدراسات الاسلامية التى تقتضى بالغ الاهتمام ولتمكين الراغبين من إلقاء ضوء كاف بصورة منهجية علمية شاملة على ما للتعاليم الاسلامية من علاقة بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى تسود عالمنا اليوم، قد أنشأ المعهد الهندى للدراسات الاسلامية جائزة نقدية قدرها خمسة عشر ألف روبية تقدم لمؤلف مبتكر.

والجائزة الأولى يفوز بها خير مؤلف فى موضوع «فلسفة الاسلام الاقتصادية: نموها وتكاملها».

ويجب ان تكون جميع المخطوطات إما بالانكليزية وإما بالعربية مكتوبة بالآلة الكاتبة بفاصلتين بين السطور وعلى وجه واحد من الورق كما يجب أن لا تشتمل على أقل من

خمسة وسبعين ألف كلمة ومن اللازم تقديم خمس نسخ من المخطوطة

وآخر تاريخ لتلقى هده النسخ هو اليوم الحادى والثلاثون من شهر مارس عام ١٩٦٨ . والمؤلف الفائز بالجائزة يصبح ملكا للمعهد . والمعهد تكون له كل الحقوق فى استعمال هذا المؤلف كيفما شاء .

وقرار « لجنة الجائزة » التى تتكون من ثلاثة من الخبراء الهنود واثنين من الأجانب ، يكون نهائيا وقطعيا .

وحيث انه توجد صعوبات فى سبيل العملة الأجنبية فان المعهد يبدى أسفه أنه لا يستطيع دفع مبلغ الجائزة بالعملة الأجنبية ولا بد للفائز الاجنبى أن يستفيد من هذه الجائزة فى الهند

فالرجاء من الراغبين فى الاشتراك فى هده المسابقة أن يبلغوا المعهد بتاريخ تقديم مخطوطاتهم على وجه التقريب .

حكيم عبد الحميد
رئيس المعهد

* * * *

الهند والاتحاد السوفيتى

اعلنت الحكومة الهندية فى شهر ابريل الماضى تأسيس جائزة نهرو وستمنح هده الجائزة سنويا لرجال الادب والشعر والصحافة للاتحاد السوفيتى تقديرا لمساهماتهم فى مضاعفة الصداقة الهندية السوفيتية .

واعلن تأسيس الجائزة فى الحفلة التذكارية التى اقيمت بمناسبة مرور عشرين عاما على قيام العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، الهند والاتحاد السوفيتى.

ومما يذكر بهذه المناسبة، ان الاتصالات بين اوربا الشرقية والهند فى القرن الخامس عشر عند ما زار الهند الرحالة السوفيتى آفانيس نيكتين كانت تختلف فى طبيعتها عن الروابط التى توطدت بين البلدين بعد وصول البحارة البرتقالى فاسكودى جاما الى الساحل الغربى للقارة الهندية.

ولم تكن بين البلدين علاقات دبلوماسية الى ان اطلت تباشير استقلال الهند، ولكن الشعب الهندى بالرغم من ذلك كان يكن للشعب السوفيتى عواطف الود والتقدير، فعند ما كان شعب الاتحاد السوفياتى يكافح للبقاء خلال الحرب العالمية الثانية، اقرت اللجنة العاملة لمؤتمر الحزب الوطنى فى شهر ديسمبر سنة ١٩٤١ قرارا يعبر عن العواطف الودية للشعب الهندى نحو الشعب السوفيتى.

والاتحاد السوفياتى اول بلد انشأت معه الهند العلاقات الدبلوماسية. فكانت فى شهر ابريل سنة ١٩٤٧ قبل استقلال الهند باربعة شهور تبودلت بين البلدين رسائل فى خصوص العلاقات الدبلوماسية.

ومن اهم الميادين الثقافية التى تبادر البلدان الى المساهمة فيها، منحهما الفرص الدراسية السنوية، وتوقيعهما على برتوكول مساواة الشهادات والدبلومات الممنوحة من جامعتى البلدين، وانشاء اللجنة الهندية السوفيتية تحت برنامج التبادل الثقافى، ومبادلة الزوار الخبراء ومبادلة المعلمين فى المعاهد التعليمية، وانشاء معهد الدراسات الروسية فى بومبائى.

الهند والمجر

تم فى الهند التوقيع على برنامج التبادل الثقافى بين الهند والمجر بعد المداولات بين مندوبى البلدين وقد اشتمل الوفد المجرى على عضوين هما المستر جانوس مولنور نائب وزير المعارف والثقافة والسيد عستاف حالو رئيس المعهد للروابط الثقافية. وكان الوفد الهندى برئاسة السيد بريم كربال الوكيل فى الوزارة للمعارف

ويشتمل البرنامج لسنتين من شهر ابريل ١٩٦٧ الى شهر مارس ١٩٦٩ تحت اتفاقية الثقافية الهندية المجارية على التبادل الثقافى والعلمى فى ميادين التعليم والعلم والتكنولوجى والفن والثقافة والصحة والألعاب والافلام والراديو والتلفزيون عن طريق تبادل الخبراء والاساتذة والفنيين ومتخصصى الدراسات الهندية والجماعات من الرقاصة والمعارض.

ويشتمل البرنامج على ٥٦ من البنود حول التبادل الثقافى وينص على زيارات ٤٧ هنود للمجر و٣٦ مجريا الى الهند وتبادل معرضين وفريقين من اللاعبين. وينص أيضا على حلقة من الرقص الهندى والموسيقى للهنغاريا واعتراف الشهادات والديبلومات لكل بلدين.

وليست العلاقات بين الهند والمجر جديدة. فقد سبق أن أبدى الاساتذة المجريون اهتمامهم فى الهند منذ قرن ونصف قرن تقريبا فكان هنا اخصائى من المجر يعكف على الدراسات الهندية، الكسندر زو مادى كوروس الذى توفى فى دارجيلنج سنة ١٩٤٢ فقد عمل لمدة من الزمن بصفة رئيس المكتبة فى الجمعية الآسيوية فى كالكوتا. ومن بين ابرز الاخصائيين فى الدراسات الهندية كانوا «اوريل» «ستين» «اليستنر» و«يوفالفى» خلال النصف

الآخر من القرن التاسع عشر زار الرسام الرحالة الهنغاري الهند أغستون شوفت ورسم عدة رسوم من بينها لديوان مهاراجا رانجيت سينغ مع صور يزيد عددها سبعين صورة وتمثال الآخر الامبراطور المغل بهادرشاه علاوة على صور آخرى تمثل المناظر الهندية وأشكالها.

ولقد لقي طاغور في بودابيست ترحيبا حارا في سنة ١٩٢٦ كما عمل الدكتور يوليوس جرمانوس أستاذ الدراسات الاسلامية في شانتي نيكيتن من ١٩٢٩ الى ١٩٣٢.

القراءة والنشر

لقد اقترح مجلس تطوير الكتب القومية عدة إجراءات مثل النشر التعاوني، وزيادة أمر النشر وتكديس البلاك والفن وعمل التشكيل لتخفيض نفقات الانتاج في صناعة النشر. وأنهى المجلس اجتماعه الاول في نيو دلهي في ٢٥ من شهر إبريل. وبهذا الخصوص فقد اقترح المجلس باستخدام التسهيلات التي تقدم المؤسسات للاستعمال في المكتبات. ولقد شدد المجلس أيضا بضرورة التعجيل في تمديد برامج الحكومة في هذا الميدان، وبنوع خاص مساعدة الناشرين الهنود لاحداث تخفيض في اسعار بيع الكتب بالمؤلفين الهنود. وقد أظهر المجلس موافقته على ان انتاج كتب النصاب، وبنوع خاص على مستوى الجامعات، تشكل جانبا ملحا في تطوير الكتب. ولذلك اقترح المجلس أن يوضع حالا برنامج ضخم لانتاج كتب النصاب الاصيلة على مستوى الولايات والمركز.

ورحب دكتور ترغوناسين، وزير التربية والتعليم في المركز الذي اجتمع بالمجلس، أيضا بهذه الفكرة وشدد بضرورة انتاج الكتب على

نطاق واسع فى جميع اللغات لكى ينفذ القرار القائل بتعليم الدراسات بواسطة لغات الاقاليم فى جميع المستويات بأسرع ما يمكن . وشدد المجلس أهمية التدريب فى ميدانى النشر وشراء الكتب واقترح أن تبحث الوزارة امكانية انشاء معهد التدريب لهذه الغاية تتعاون مع الصناعة . ولقد أنشئت لجنة للنظر فى استيراد الكتب والمجلات الحكومية نعية استيراد الكتب اللازمة فقط لأغراض التعليم والبحث والمتعة وفى نفس هذا الترتيب ومنع استيراد منشورات غير مطلوبة .

ولقد نظمت منظمة « تحرير الكتب القومية » مؤتمرا حول « الترجمة فى الدول المتنامية » خلال شهر مارس فى نيودلهى الذى ساعد فى توضيح بعض المشاكل فى ذلك الحقل وفى شهر إبريل نظمت منظمة « تحرير كتب الاطفال » معرض كتب الاطفال الدولى فى العاصمة ونظمت أيضا مؤتمرا حول كتب الاطفال فى نشرة أخيرة لقسم المطبوعات التابع لوزارة الاعلام والاذاعة فقد ظهرت حياة غاندى فى صور ملونة يزيد عددها على مئة .

إن الكتاب يتضمن جميع مراحل حياة غاندى من الطفولة الى الممات ويعكس اهم الاحداث والوقائع التى تتعلق بايام دراسته وكفاحه فى افريقيا الجنوبية وظهوره على شاشة الهندية وقيادته للحركة الهندية للحرية .

وصل الى الهند المستر ى . و . زيدنا برو ووسكى بعامل علمى فى معهد الآثار القديمة التابع لأكادمية العلوم لاتحاد السوفياتى لزيارة أربعة أشهر . وذلك تحت برنامج التبادل الثقافى السوفياتى الهندى ويزور المستر

زيدنا برو ووسكى خلال هذه المدة الجامعات ومصالح الآثار القديمة والمصالح الأخرى .

عن انفسنا

زار الهند الدكتور ك . تسوروومى استاذة السوشيولوجية بجامعة سيكى طوكيو ، فى رحلة دراسية لمدة اسبوعين ، وذلك طبقا لبرنامج النشاط المركزى وقامت فى اثناء هذه الفترة بزيارة شانتى نكيتن ، وبنارس وآجرا ودلهى وبومبائى واورنج آباد ، وقابلت فيها عددا من الكتاب وعلماء الاجتماع الهنود

وزار الهند كذلك ضيفا للمجلس الاستاذة بيتى نكرسن احدى المهتمين بالرفاه الجماعى من كندا ، ومكثت ثلاثة اسابيع ، زارت خلالها دلهى ولكناؤ وكلكتا ومدراس وميسور وبنجلور ، واجتمعت مع موظفى الوزارة لتطوير الشؤون الصحية وتحديد النسل ولجنة الرفاه الجماعى .

واستقبل المجلس تحت برنامج التبادل الثقافى بين الهند وبولاندا الدكتور ك . وولسكى مدير متحف كاراكو ببولاندا ، الذى وصل الى الهند للمكوث فيها لستة اشهر ، وذلك لزيارة المتاحف ومعاهد الصناعات اليدوية الواقعة فى دلهى وراجستهان وكاتياوار وبومبائى وحيدرآباد وكلكتا والبنجاب والكاشمير .

واستقبل المجلس تحت برنامجه الثقافى البروفيسور ج . س . هيسترمان العالم فى العلوم الهندية من نيدرلند ، الذى جاء هنا لمدة أربعة أسابيع . واجتمع البروفيسور بعدد من الادباء والعلماء فى العلوم الاجتماعية .

ووصل الى الهند البروفيسورة السيدة ليوبا أنشيفا عازفة البيانو والبروفيسور ساقا ديمتروف عازف الكلاريت لاقامة أسبوعين فى الهند تحت برنامج التبادل الثقافى البلغارى الهندى ويتضمن زيارتهما مدينة دلهى وآجره وجانبور وكلكوتا . فقد قاما بعرض فنونهما فى كل مدينتى دلهى وكلكوتا حيث رحب بهما ترحيبا حارا من قبل الحضور .

الوفود

جاء الى الهند وفد يشتمل على ١٢ طالبا واستاذين لجامعة تريبوفان بنيبال ، فى رحلة دراسية وأمد المجلس كل ما فى وسعه من مساعدة الوفد استقباله وإقامته وحجز المكان فى القطارات الخ .

ووصل الى الهند وفد سكميى ودى يشتمل على ١٨ عضوا تحت برنامج النشاط الثقافى للمجلس وسيزور الوفد خلال ثلاثة أسابيع مدينة تشانديغر ، وسانجى ، وبهوبال ، وبومباى ، وآجره ، وبنارس ، وجايا ، ونالنده ، وكلكوتا ، ودلهى .

وجاء الى الهند وفد يتضمن من ٣٥ طالبا من جمعية اللغة التاميلية التابعة لمالايا فى رحلة دراسية . واستقبل المجلس الوفد وامده بكل المساعدة المتيسرة فى شؤون اقامته ورحلته فى الهند .

الموسيقى

نظم المجلس باشتراك السفارة المكسيكية حفلة عزف على البيانو لجوزكاهان فى آزاد بافان فى السابع من فبراير سنة ١٩٦٧ .

ونظم المجلس وماكس مولر بافان معاً حفلة عزف على البيانو لأحيبورج وريمير كشلر فى آزاد بافان فى العاشر من فبراير سنة ١٩٦٧ .

وفى مشاركة ماكس مولر بافان نظم المجلس حفلة موسيقى لـ «برو ميوسيكا أنتيك ات مودرنا».

ونظم المجلس والسفارة البلغاريا حفلة موسيقى للسيدة ليبا إنشيفا (عازفة البيانو) وللبروفيسور سافا ديمتروف (عازف الكلارنيت) فى آزاد بافان فى ١٨ مارس سنة ١٩٦٧.

واشترك المجلس مع السفارة الارجنتينة فى تنظيم حفلة عزف البيانو لكارلوس مانسو فى آزاد بافان فى ٢١ مارس.

محاضرات آزاد التذكارية

وألقى الدكتور لائنوس بالنج الذى هو فائز جائزة نوبل وبروفيسور الابحاث فى مركز الدراسة الاسس الديمقراطية فى كاليفورنية محاضراته فى سلسلة محاضرات آزاد التذكارية لسنة ١٩٦٧ التى ينظمها المجلس تذكارا واحتراما لمولانا آزاد رئيس الاول فى آزاد بافان فى الثانى والثالث لشهر فبراير سنة ١٩٦٧ م. وكان موضوع محاضرتيه «العلم والسلام العالمى» و «العالم المستقبل». واجتذبت المحاضرات عددا كبيرا من الحضور فى كل اليومين.

والمحاضرات الأخرى

ألقى الدكتور أوليفر ليكومبت، عالم دارز فى العلوم الهندية من فرنسا محاضرة فى موضوع «الخرافات والرموز فى الفلسفة الهندية» فى آزاد بافان فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٦٧ م.

المعارض

لقد نظم المجلس معرضا للكتب عن ماليزيا فى آزاد باوان من ٦ الى ١٥ فبراير سنة ١٩٦٧ م . وقد عرضت نحو ٢٢٠ كتاب والكتيبات والتقارير والدوريات حول الحياة والثقافة الماليزية .

منشوراتنا

وخلال المدة التى نستعرضها ، أصدر المجلس كتيبا « مونو غراف حول اللغة التاميلية » للبروفيسور ت . ب . ميناكشى سوندارام .

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

AZAD BHAVAN, NEW DELHI 1

President: Mr. M. C. Chagla

The objects of the Indian Council, as laid down in its constitution, are to establish, revive and strengthen cultural relations between India and other countries by means of:

(*i*) Promoting a wider knowledge and appreciation of their language, literature and art;

(*ii*) Establishing close contacts between the universities and cultural institutions;

(*iii*) Adopting all other measures to promote cultural relations.

THAQĀFATU'L-HIND

Vol. XVIII | July 1967 | No. 3

Editor:

S. Taiyebali Lokhandwalla

CONTENTS

—

ثقافة الهند

مجلة علمية ثقافية

المجلد الثامن عشر
العدد الرابع
اكتوبر ١٩٦٧

مجلس الهند للروابط الثقافية

يهدف المجلس — كما ينص دستوره — إلى إنشاء وإحياء وتعزيز الروابط الثقافية بين الهند والبلاد الأخرى بالوسائل التالية :

(١) التوسع فى معرفة وتقدير لغاتها وآدابها وفنونها

(٢) إنشاء الروابط الوثيقة بين الجامعات والمعاهد الثقافية

(٣) اتخاذ جميع التدابير الأخرى لتنمية الروابط الثقافية

مجلة فصلية ثقافية

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية مرة كل ثلاثة أشهر

يناير — ابريل

يوليو — اكتوبر

بدل الاشتراك عن سنة (يدفع مقدما بحوالات أو شيكات) : فى الهند عشر روبيات فى الخارج عشرون شلنا. ثمن العدد فى الهند روبيتان ونصف. فى الخارج خمس شلنات.

المراسلات : باسم سكرتير المجلس اذا كانت تتعلق بارسال المجلة أو بدل الاشتراك. وباسم رئيس التحرير : اذا كانت تتعلق باستعراض الكتب أو مادة المجلات.

ثقافة الهند

رئيس التحرير

شمعون طيب على لوكهندوالا

محتويات العدد

دار المصنفين باعظم كره

للاستاذ محمد نعيم الندوى الصديق

مجمع علمى كبير للعلم والثقافة فى الهند

لايخفى على من له إلمام بدراسة تاريخ هذه البلاد أن بلاد الهند تمتاز وتتفوق فى مراكزها الدينية ومعاهدها الثقافية على سائر البلاد الأخرى وإن أرضها عاصة بالجامعات والمدارس والمعاهد العلمية الاخرى وتقدمت الهند فى هذا المجال بعد استقلالها تقدما قلما يوجد له نظير فى العالم كله.

ومن تلك المعاهد الثقافية دار المصنفين فى بلدة اعظم كره[1]، وهى مجمع علمى كبير يحتل مكانة مرموقة سامية بين المجامع العلمية الكبرى، وهو نموذج مثالى المؤسسات العلمية فى الهند، اشتغل فى هذه المؤسسة ولايزال يشتغل عدد كبير من كبار العلماء والباحثين فى أعمالهم الجليلة، والجدير بالذكر أنهم آثروا الاشتغال بخدمة العلم والأدب والتاريخ ونشر العلوم والثقافة على مناصب كبيرة ورواتب ضخمة.

إنشاء المجمع

إن أوربا لم تفتح البلاد والمدن والأمتعة النفيسة فحسب حين فتحت الشرق، ولو اكتفت بذلك لكان خيراً، ولكنها استولت على القلوب التى هى أغنى ثروة عند الجميع وأصبغتها بصبغتها حتى صار من الصعب على الشرقيين أن يحافظوا على قيمهم الدينية إذ لكل قوم عقائد ومميزات يحيون بها، ويمتازون بها عن غيرهم، ولذلك يجب كل أمة أن تتمتع بحياتها مع

(1) Azamgarh (U. P.)

بقاء قيمها، ولا يمكن ذلك الا عند ما تتمسك الامة بعروة دينها وتعض على عقائدها بالنواجذ.

فكانت الحاجة ماسة ملحة إلى إنشاء جمعية فى الهند على طراز اورا يحتشد فيها النوابغ البارزون فى كل علم وفن ليشروا العلوم الاسلامية ويدونوا تاريخ البلاد من عهدها الأول إلى الحاضر، وأول من أحس بهذ الحاجة الشديدة هو العلامة شبلى النعمانى - مؤسس هذا المجمع العلمى.

استهدف العلامة شبلى النعمانى اصلاح الطبقة العلمية المثقفة الت كان الانحطاط قد تسرب إليها، وذلك كى يتسنى لها إعادة روح جديدة إ وجهة اطار التعليم والثقافة الاساسية للعصر المتوسط، وعرض التار الاسلامى والفلسفة الاسلامية فى ثوب قشيب.

وقام العلامة النعمانى بمساعدته لندوة العلماء فى لكنهؤ من النا التعليمية، وأراد انشاء دار المصنفين كفرع لها، فأعد مخططها وبرامجها ونشر فى مجلة «الهلال» الأسبوعية لصاحبها ابى الكلام آزاد وزير المعارف لحكو الهند سابقاً، ونال هذا القرار اعجاب عامة الناس وتشجيعهم من جميع نواح البلاد حتى اعترف مولانا ابوالكلام آزاد باهميتها البالغة وقيمتها الكبير وكتب إلى العلامة النعمانى مرحباً بالفكرة ومهنئاً إياه، وأبدى رغبته الانضمام إلى أسرة دار المصنفين التى أزمع إنشاءها، وعرض عليه نه كخادم وعامل فيها

كان العلامة النعمانى قد وضع برنامجاً مهماً لهذا العمل الجليل والمشر الخطير إذ فاجاه الأجل يوم ١٨ نوفمبر ١٩١٤ م، وجل ما أتمه فى هذا الم هو أنه وقف حديقته الواسعة بما فيها داران لانجاز هذا المشروع، ووق ٣٠٠ كتاب الذى أصبح نواة لمكتبة دار المصنفين العامرة الحالية.

مات العلامة النعمانى ولكنه خلف ثلة من نبهاء تلامذته وزملائه الذين قاموا بتنمية هذا العمل بعده وتوسيع نطاقه، فجاء زمام سيادة تلك الجمعية فى يد العلامة السيد سليمان الندوى تلميذ العلامة النعمانى النجيب، ولاشك فى هذه الحقيقة أنه بذل كل جهده لرقى المجمع وتقديمها إلى الأمام واذاعة صيته فى البلاد وخارجها، فانه كتب مقالات عديدة فى الجرائد المحلية عنه.

أهداف المجمع

وضع مؤسسو هذا المجمع ثلاثه أهداف أساسية لتأسيسه، وهى مذكورة فى منشوره نذكرها هنا مترجمة الى العربية.

١ ــ انجاب ثلة من المصنفين المثقفين والكتاب البارزين فى البلاد.

٢ ــ التصنيف والتأليف والترجمة للكتب التليدة الثمينة.

٣ ــ تهيئة وسائل طبع الكتب التى يبدعها مصنفوها وغيرهم من كبار كتاب البلاد.

ولم يكن المجمع فى بدأ أمره إلا عبارة عن دار حقيرة ومكتبة صغيرة وعدة تلامذة للعلامة النعمانى مثل الأستاد عبد السلام الندوى، والأستاد السيد سليمان الندوى والأستاذ مسعود على الندوى وغيرهم، كان الله أيده بكبار رجال الهند الذين إحتشدوا فيه فطفق المجمع يتوسع ويتضخم يوماً فيوماً، حتى رسخ أصوله وبسق فروعه وطاب ثماره واليوم يعد من اكبر مراكز العلم والثقافة فى العالم أجمع، ولم ينحصر صيته الذايع فى الهند فحسب بل اخترقت سمعته أعماق بلاد أوربا، وتعرفت به كثير من جمعياتها العلمية، وربما راسلته فى شتى الأمور، ولاشك أن الهند تفتخر على وجوده فى أرضها، ولها حق الافتخار.

خدماته العلمية

تنبه العلماء بفضل هذا المجمع من سباتهم واشتغلوا بدراسة التاريخ الاسلامى ونقد العلوم الاسلامية التحليلي . وقد كان العلامة شبلى النعمانى ألف كتباً غير قليلة حول مواضيع مختلفة تهدف الى غاية أسمى مثلا كتابه الشهير « شعر العجم » الذى يدور حول تاريخ اللغة الفارسية وآدابها ، فانه جمع فيه مواداً دسمة أصبح زاداً لكتاب الغد ومؤلفى المستقبل ، وكذلك كتاباه « الموازنة بين انيس ودبير » الذى هو أروع نموذج لدراسة أدبية فى ضوء النقد والتحليل . وأما كتاباه « الفاروق » و « المامون » فأول ما كتب فى موضوع السيرة الاسلامية بلغة اردو .

ولكن العمل الذى خلد العلامة النعمانى فى صفحات التاريخ هو تاليف كتابه فى السيرة النبوية باسم « سيرة النبى » بلغة اردو ، فانه جمع فيه ذخيرة من المعلومات العلمية لتكميل هذا الموضوع ، إنه ألف مجلدين لهذا الكتاب إذ فأجاه الموت ، فقام تلميذه البارع النجيب العلامة السيد سليمان الندوى باتمام هذا الكتاب فى أربع مجلدات أخرى ، ولاشك أنه أدى هذا العمل بأحسن ما يتمنى أستاذه

قد اتفق اهل الرأى من العلماء والنقاد قاطبة أنه لم يصنف مثل هذا الكتاب فى هذا الموضوع لاقبله ولا بعده ، إنه مرجع تاريخى هام ومصدر جامع للسيرة النبوية ونواحيها المختلفة ، وقد نقل هذا الكتاب إلى لغات أخرى ، كالتركية فى تركيا ، والفارسية فى ايران ، والانجليزية فى باكستان كما ازمعت حكومة الجمهورية العربية المتحدة ترجمته إلى العربية وهى الآن هناك فى طريقها إلى الطبع .

وكذلك كتب عديدة التى أصدرها هذا المجمع العلمى، تحتوى على مواضيع مختلفة ومواد متنوعة، فلو لفتنا أنظارنا إلى تاريخه الطويل - نحو خمسين سنة - نجد أنه أصدر مائة كتاب فى شتى المواضيع مثلا ٢٣ كتابا فى موضوع السيرة عدا إصداره سيرة النبى فى ستة مجلدات ضخمة، و ٢٢ كتابا فى تاريخ العصور المتوسطة للهند و ١٧ كتابا فى التاريخ الاسلامى و ١١ كتاباً فى الفلسفة وكتابين فى علم النفس، و ٥ كتب فى مواضيع أخرى، ونال معظم هذه الكتب قبولا فى جامعات الهند.

ونالت تاليفات دار المصنفين جوائز ثمينة عالية من الحكومة وشتى المعاهد، وقد نال كتاباها «خيام» و «حيات شبلى» خمس مائة روبية من المجمع الهندى العلمى بالهآباد، وكتاب «مآل مشيت» خمسة آلاف روبية من الساهتيه الاكادمية بدلهى وكما منح حكومة أترابراديش جائزة الف روبية واثنى عشر روبيات على كتاب «هندوستان كے عهد وسطى كى ايك جهلك» و «هندوستان كے عهد وسطى كا فوجى نظام» على ترتيبهما

مجلة المجمع

وللمجمع العلمى مجلة علمية راقية شهرية تصدر باسم «معارف» وهى معروفة لمقالات قيمة حول تاريخ الاسلام والهند، أرمع أصدارها السيد سليمان الندوى وكان هو منشئها الأول، وإنها لاتزال تصدر فى هذا المجمع العلمى من سنة ١٩١٦ م إلى الآن، واليوم يرأس تحريرها الأستاذ الشاه معين الدين احمد الندوى.

ولاشك أن مجلة «معارف» الغراء - لسان حال مجمع دار المصنفين - احرزت فى مدة قليلة ثقة العلماء واعجاب الأوساط العلمية ولا اكون مبالغا

اذا قلت أن اشراف الأستاذ الشاه معين الدين احمد الندوى على تحرير المجلة هى ضمان على كونها مجلة راقية وذات مرة قال مولانا ابو الكلام آزاد كاتباً فى رسالته :ـ

« ما هذا القول فى مجلة « معارف » ؟ لاتوجد مجلة سواها فى هذا الوقت المظلم ، ترى السكوت مبثة فى البلاد كلها . »

ادارة المجمع

تشرف على أعمال دار المصنفين لجنة مؤلفة من كبار العلماء والوجهاء وأهل الغيرة الاسلامية يختارون بالتصويت ، يمثل هذه اللجنة عضو من أعضائها لادارة دار المصنفين ، وهو مديرها ، تولى هذه الادارة أولا الأستاذ السيد سليمان الندوى (رح) ثم تولى بعده الأستاذ الشاه معين الدين احمد الندوى وهو لايزال عليها إلى الآن ، ويجتهد لرقى المجمع وتقديمه إلى أعلى منازله جهداً متواصلا .

مكتبة المجمع

من المعلوم أن مثل هذا المجمع العلمى الذى يقوم على مستوى ممتاز يحتاج إلى مكتبة كبيرة عامرة ، ولاشك أن مكتبة دار المصنفين الزاخرة يسد هذه الحاجة على أحسن وجه ، فانها بدأت من ٣٠٠ كتاب جمعها العلامة شبلى النعمانى ولكن انفقت دار المصنفين فى ذلك المجال كثيرا وحصلت على كل كتاب يحتاج اليه المولفون والكتاب فى التصنيف والتأليف ، فانها اليوم أصبحت مركزا لذخائر الكتب النفيسة ، وتحتوى على آلاف الكتب ، وتعد من نخبة مكتبات العالم لاسيما فى الهند ، وفيها عدد كبير من الكتب الخطية النادرة ما لايوجد فى المكتبات الأخرى .

يجدر بنا ان نذكر على سبيل المثال كتاب «مونس الارواح» فى تذكرة الشيخ معين الدين الچشتى ، ألفه جهان آرا بيكم بنت ملك الهند المغولى شاهجهان ، وجده العلامة شبلى النعمانى من دكان بسوق النخاس بلكنؤ واشتراه بمأة روبية فقط ، كان هذا الكتاب أحب الكتب إلى العلامة ، ونسخة الكتاب التى توجد فى دار المصنفين ، تحص بهذه الناحية ايضاً أن مؤلفها ـ جهان آراء بيكم ـ قد استعملها ، ولايمكن تقدير قيمتها اليوم ، فانها كانت قد عرضت فى العرض العالمى بباريس (فرنسا) استعارها منظموا المعرض من دار المصنفين على السوكرة ـ ٢٥ الف روبية ، وغير ذلك من الكتب النادرة التى لايسع المجال هنا لذكر تفاصيلها .

إن مكتبة دار المصنفين مرجع هام للمشتغلين بالبحث والتحقيق ، فانها تهيئ لهم معلومات قيمة وموادا عالية دسمة حول الموضوعات المختلفة المتنوعة للعلم والأدب والتاريخ وغيرها ، وربما يرد إلى هذا المورد العذب الفياض الباحثون من بلاد أخرى أيضاً ، ويغترفون من ينابيعه .

صلتها بزعماء الهند وعلمائها الكبار

ومن آيات القبول العام لدار المصنفين أنها نالت تسجيعاً كبيراً من زعماء كل طبقة وتعاضدها من كل مدرسة ، والجدير منهم بالذكر زعيم الهند الكبير مهاتما غاندى ، ورئيس وزراء الهند الراحل جواهر لال نهرو ، والمرحوم مولانا ابو الكلام آزاد وزير معارف الجمهورية الهندية سابقاً ، والمستر تيج بهادرسپرو ، والمستر اجارية نريندر ديو ، والمستر جى پركاش نرائن والپانديت موتى لال نهرو ، والدكتور ذاكر حسين رئيس الجمهورية الهند الحالى ، والمستر لال بهادر شاسترى رئيس وزراء الهند سابقا ، والدكتور سيدنا طاهر سيف

الدين ، والفقيد المغفور له مولانا شوكت على ، والدكتور انصارى والمستر رفيع أحمد قدوائى ، وزير التموين والاقتصاد لحكومة الهند سابقا ، والمستر ى . ى . فيضى ، والزعيم الشاعر مولانا حسرت موهانى ، والشيخ المغفور له مولانا السيد حسين احمد المدنى ، والدكتور سيد محمود وزير الخارجية لحكومة الهند سابقا وغيرهم زاروا دار المصنفين واعترفوا بخدماتها وأعمالها الجليلة التى أداها فى خلال هذه المدة الطويلة فى ميادين العلم والثقافة والتحقيق والتاريخ .

وكانت للبانديت موتى لال نهرو صلة وثيقة بدار المصنفين فى أى مناسبة جاء الى اعظم كره أو ما والاها ، زار دار المصنفين وقضى فى أجوائها وقتاً لا بأس به ، وكذلك إبنه النابغ جواهر لال نهرو اقتفى سيرة والده ، واتفق صلته بدار المصنفين طول حياته ، حتى قبل عضويتها الدائمة .

وهنا قصة طريفة تجدر بالذكر . حين التمس الاستاذ مسعود على الندوى من البانديت نهرو قبول العضوية الدائمة لدار المصنفين فقبلها بدون تردد ولا تأخير ، وقدم إلى الأستاذ الندوى من ثمن الاشتراك فى العضوية يسيراً ، فقال له الأستاذ مزاحاً : « إنك رئيس وزراء الهند ، فهلا تستطيع أن تعطى هذا الاشتراك كله معا » فضحك البانديت نهرو وأجاب قائلا : « ألا تعرف أنه لا يصل إلى من راتبى إلا خمس مائة روبية بعد الألف فقط كل شهر » .

عدا ذلك استقبلت دار المصنفين عدداً معقولا من كبار العلماء والأدباء وارباب السياسة واصحاب الثقافات العالية فى كل حين وأتاحت لهم فرص الاستفادة منها على الدوام .

وسائلها

تقتصر معظم تمويل دار المصنفين على تجارة كتبها ، كما كانت تعاضدها ولايات حيدرآباد وبوفال قبل انقسام الهند ، ولكنها واجهت أزمة مالية عنيفة عقب انقسام البلاد . ثمرة منح مولانا ابو الكلام آزاد وزير المعارف لحكومة الهند سابقا ستين ألف روبية باشارة من رئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو ، كما ساعدها المغفور له مستر رفيع احمد قدوائى وزير التموين والاقتصاد لحكومة الهند سابقاً عن طرق متعددة ، وقدم جواهر لال نهرو ألف روبية من صندوقه الخاص اعترافاً منه بدورها فى نشر الثقافة القومية فى الهند

وكذلك دبرت وزارة الثقافة والتحقيق لعلوم الطبيعة فى الهند منحة مالية وفيرة لانجاز مشروع التأليف لتاريخ الهند المفصل ، ومنحت حكومة ولاية اترابراديش خمسة آلاف روبية لتوسيع المطبعة ، وقبلت حكومة كشمير لتسديد نفقاتها اليومية اعطاء منحة مالية قدرها ٥٠٠٠ روبية .

واحتفلت دار المصنفين عيدها الذهبى فى السنة ١٩٦٥م بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيسها ، وتكرم فخامة الدكتور ذاكر حسين رئيس الجمهورية الهندية بقبول رئاسة هذا الاحتفال

واشترك فى هذا الاحتفال بالعيد الذهبى آلاف من كبار رجال الهند من العلماء والزعماء ، وعقد معرض علمى ايضاً ، عرضت فيه أعمال دار المصنفين وخدماتها التى أداها فى خلال خمسين عاماً ، عرف كل أحد أهمية هذا العمل الجليل وقيمة ذلك المشروع الذى قامت به دار المصنفين وحملت عبئه منذ خمسين عاماً .

في هذه المناسبة السعيدة أعلن رئيس الجمهورية الهندية لمساعدة دار المصنفين بخمسين ألف روبية من الحكومة الهندية، كما منح حكومة ولاية اترابراديش خمسة آلاف روبية، ولاشك أن دار المصنفين أدىء دوراً مثالياً في تذييع الثقافة الهندية وعلومها وآدابها وتاريخها، ولا تزال تترقى في ذلك المجال، قلما يوجد لها نظير ومثيل في البلاد كلها.

أضواء على التاريخ الاسلامى فى الهند — ٦

بقلم : الاستاذ محى الدين الالوائى
المدرس بجامعة الازهر ، القاهرة

دور المسلمين فى تحرير الوطن وبنائه

(٣)

فى اغسطس عام ١٩٤٧ تخلصت الهند من عهد الاستعمار الانجليزى ونالت حريتها كاملة بعد كفاح مرير وتضحيات حارة وجهود بالغة، فوجدت نفسها مثخنة بأنواع من الجراح الاجتماعية مثل الفقر والجهل والمرض، وعدم تكافؤ الفرص وتركز الثروات فى أيدى قليل من الافراد والنظام الاقطاعى السائد فى القرى والارياف.

وفى يناير عام ١٩٥٠ أعلنت الهند دستورها الجديد الذى ينص على أن الهند جمهورية ديموقراطية ذات سيادة ولقد اقتبس الدستور الهندى محاسن كثيرة من الدساتير العالمية. وقد جاءت ديباجة الدستور الهندى كما يلى.

جمهورية الهند

(٢٦ يناير سنة ١٩٥٠)

« نحن، شعب الهند ـ وقد عقدنا العزم بكل هيبة وخشوع على ان نقيم من الهند جمهورية ديمقراطية ذات سيادة، وأن نحفظ على كل مواطنيها. العدالة : اجتماعية كانت ام اقتصادية ام سياسية.

والحرية : فى الفكر والتعبير والمعتقد والدين والعبادة.

والمساواة . فى الحالة والفرصة . وأن نشر بينهم جميعاً الاخاء : مؤكدين كرامة الفرد ووحدة الامة .

بهذا نصدر فى جمعيتنا التأسيسية هذه ، ونقرر ونمنح أنفسنا . هذا الدستور .

اتخذت الهند عمود الاسود الاربعة شعارا للدولة ويرجع تاريخ هذا العمود الى الامبراطور اشوكا فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وتقول الاسطورة ان الامبراطور . قد اتخذ هذا الشعار لدولته ليحدد معالم الدعوة التى بدأ بودا دعوته للاسلام والتحرير اليها ، وهى اركان العالم الاربعة .

ويمثل هذا الشعار أربعة اسود مرتكزة على قاعدة مستديرة ، وقد احاطت بها اربعة حيوانات أصغر حجما من الاسود القائمة بالقاعدة . فأما الأسود فترمز الى القوة والشجاعة ، وتتجه بوجوهها إلى أركان العالم الأربعة ، وأما الحيوانات الاربعة الاخرى المحيطة بالقاعدة ، فهى بمثابة حراس الاتجاهات الاربعة ، فالثور هو حارس الجهة الغربية ، والفيل حارس الجهة الشرقية ، والحصان حارس الجهة الجنوبية ، والاسد حارس الجهة الشمالية .

وتقوم القاعدة على زهرة متفتحة من زهرة « اللوتس » وهى تشير الى تفتح ينابيع الحياة ورجائها وفى اسفل هذا الشعار كتبت باللغة الهندية هذه العبارة ، ومعناه كما يلى « النصر للحق وحده » .

ويتألف علم الهند من ثلاثة الوان ، البرتقالى والابيض ، والاخضر وتتوسط هذا العلم عجلة زرقاء فاما اللون البرتقالى ، فيمثل التضحية وانكار الذات ، والابيض فيمثل الطهر والحق ، والاخضر يدل على الايمان بالمبادئ والخصب الذى فيه رخاء الحياة ، والعجلة هى رمز لعجلة العدالة والحق .

وقد وصف الزعيم الهندى الراحل « نهرو » هذا العلم بانه يرمز الى رسالة الحرية والاخاء ، وقال عقب انتهاء وضع تصميم هذا العلم ، واتخاذه علما جديدا للهند المستقلة :

« لايرمز هذا العلم الى حريتنا نحن فحسب ، بل هو رمز الحرية لجميع الشعوب . . وانه يحمل معه رسالة الحرية والاخاء أينما ذهب . . . وهو يحمل ايضا رسالة تعلن للملاء أن الهند تبغى صداقة جميع الشعوب والدول . . . »

يكفل الدستور الهندى الحقوق الاساسية لجميع المواطنين دون تمييز بينهم بسبب العنصر أو الدين أو العقيدة ، ويضمن كذلك حرية الراى والتعبير والاجتماع وتكوين الهيئات وحق التملك . وفيما يلى نص ما جاء فى هذا الدستور بشان حقوق الافراد ·

« جميع الافراد سواء فى الحقوق الآتية : على الا يخل ذلك بالنظام العام او الاداب أو يتنافى مع اعتبارات الصحة العامة : حرية العقيدة وحرية الفرد فى اتباع دينه وممارسته والدعوة إليه . وحرية انشاء المؤسسات ذات الاهداف الدينية أو الخيرية وإدارة هيئة المؤسسات ، وحرية تملك الأموال وحيازتها ، سواء منها الثابت او المنقول ، والتصرف فى هذه الاموال فى الحدود التى يرسمها القانون . ولجميع الاقليات ، سواء منها الدينية أو اللغوية ، حق انشاء المعاهد التعليمية التى تريدها ، والاشراف عليها ، ولا يجوز لولاية من ولايات الاتحاد الهندى عند منح الاعانات للمعاهد التعليمية ان تميز معهدا عن معهد آخر بسبب تبعية أحد منها إلى أقلية من الاقليات ، سواء أكانت ذات صبغة دينية أو لغوية . . . »

ينص دستور الهند على أن يكون الشعب هو صاحب السيادة المطلقة فهو يختار أعضاء البرلمان بطريق الانتخابات العامة التى تجرى على اساس تصويت البالغين كما ان البرلمان يختار رئيس الوزراء الذى يؤلف الحكومة. ويتألف البرلمان الهندى من مجلس الولايات والشعب او بعبارة أخرى مجلس الشيوخ والنواب. ويتم انتخاب اعضاء مجلس الشعب بطريقة مباشرة فى كل ولاية، اما مجلس الولايات فيتم اختيار اعضائه من المجالس التشريعية فى الولايات أما مجلس الشعب فيختار رئيسه من بين أعضائه، بينما يرأس مجلس الولايات نائب رئيس الجمهورية. ويجرى انتخاب رئيس الدولة بطريق مجمع انتخابى يضم اعضاء مجلس البرلمان المركزى والمجالس التشريعية فى الولايات المختلفة ومدة رياسة رئيس الجمهورية خمس سنوات قابلة للتجديد ولايجوز له أن يمارس سلطات دستورية بطريق مباشر، فهذه السلطات من اختصاص رئيس الوزراء، حيث يباشرها بوصفه رئيس مجلس الوزراء وهذا المجلس مسئول أمام البرلمان المنتخب من الشعب، ويشترك مجلسا البرلمان المركزى فى انتخاب نائب رئيس الجمهورية.

إن الجمهورية الهندية تتألف الآن من ستة عشر ولاية ويضاف اليها بعض المناطق الموضوعة تحت ادارة الحكومة المركزية مباشرة وقبل اعادة تنظيم الولايات كانت الهند تتألف من ٢٩ وحدة بعد ادماج الامارات التى بلغ عددها وقت الاستقلال ٥٦٢ امارة. وفى عام ١٩٥٤ ألفت الحكومة الهندية لجنة خاصة لاعادة تنظيم الجمهورية الهندية، ولكل ولاية من هذه الولايات جمعيتها التشريعية الخاصة، وفى بعض منها مجلس أعلى الى جانب تلك الجمعية التشريعية وينتخب أعضاء الجمعيات التشريعية فى الولايات بطريق

الانتخاب العام الذى يقوم على اساس حق التصويت لجميع البالغين . وعلى رأس كل ولاية حاكم يعينه رئيس الجمهورية، وليس لحكام الولايات سلطات دستورية بطريق مباشر كما اسلفنا فى سلطات رئيس الجمهورية . ويسير نظام الحكم فى الولايات على نمط النظام القائم فى الحكومة المركزية، فلكل ولاية مجلس وزرائها ويراسها كبير الوزراء الذى تختاره الجمعية التشريعية من بين أعضائها المنتخبين من الشعب وهو مسئول أمام الجمعية التشريعية مباشرة .

وعلى رغم الاحداث السياسية والتقلبات العصرية التى طرأت على الهند تحت حكم الاحتلال لم تتزعزع دعامة الديمقراطية عن روحها . وقد امتازت الانتخابات التى جرت فى الهند بعد الاستقلال بما كشفت عنه من رسوخ الروح الديمقراطية والاساليب الديمقراطية فى حياة البلاد ـ وحرصا على سلامة الانتخابات وصيانتها من كل تحيز او محاباة أودع دستور الهند سلطة الاشراف عليها سواء فى انتخابات البرلمان أو الجمعيات التشريعية أو انتخاب رئيس الجمهورية فى يد لجنة يعينها رئيس الجمهورية . ويتمتع رئيس اللجنة فى سبيل اداء مهمته، بجميع أنواع الضمانات والحصانات المماثلة لقضاة المحكمة العليا .

إن المحكمة الوطنية العليا هى المرجع النهائى فى تفسير الدستور الهندي، وهى المرحلة الاخيرة من مراحل الاستئناف المدنى، وهى أعلى مراتب الهيئات القضائية فى الهند ، وتتألف من قاضى قضاة يعاونه قضاة آخرون يعينهم رئيس الجمهورية، ولا يجوز عزل احد منهم الا أن يكون ذلك بقرار من رئيس الجمهورية بطلب من مجلس البرلمان المركزى .

إن الهند قد أدركت مدى الدور الذى يقوم به العلم فى رفع مستوى المعيشة فيها وتوفير الحياة السعيدة للمواطنين وأكدت حكومة الهند سياستها تجاه العلوم والتكنولوجيا والبحوث العلمية والفنية فى مشروع قرار قدمته الى البرلمان فى ٣١ مارس سنة ١٩٥٨ .. ووجهت لجنة التخطيط اهتماما بالغا بالنهوض العلمى والتكنولوجى فى البلاد. وطرأ على الهند خلال فترة المشروعين الاولين للسنوات الخمس تغير عظيم بفضل المعامل العلمية والاستثمار فى البحث وافتتاح خزانات الرى ومحطات الكهرباء والمفاعلات الذرية واستخدام الاساليب الحديثة للعلم فى المصانع والمعامل.

جاء فى خطاب ألقاه نائب رئيس لجنة التخطيط فى أول ندوة عقدت فى الهند تحت إشراف الجمعية العلمية الهندية فى عام ١٩٦٥ ما يلى

« ان العلم أصبح القوة المسيطرة على اقتصادنا حتى يمكن التغلب على النقص فى مواردنا المادية والطبيعية إن العلم لايساعد فقط على التنقيب فى الارض، بل على اثرائها، ولذلك لايمكن مقابلة التحدى فى مجال التنمية الا بكفاءة الجيل الناشئ من علمائنا وحسن تدريبهم وتفانيهم فى عملهم.» ثم قال فى معرض الكلام عن دور الخطة الخمسية فى التقدم العلمى فى البلاد «إن حجم الخطة الرابعة قد يكون ضعف الخطة الثالثة، ولابد من تنظيم استراتيجية الخطة بحيث تؤدى الى نتائج فعالة وسريعة وفقا لحاجات البلاد والظروف الخاصة لها.»

وبفضل مشروعات السنوات الخمس للتنمية أحرزت الهند تقدما ملحوظا فى المجال العلمى العصرى إلى جانب نهضات صناعية وزراعية وثقافية واجتماعية، ووصلت الهند خلال فترة مشروعى السنوات الخمس الاولين الى

مرحلة واضحة فى برنامج الطاقة الذرية، واصبحت من ضمن الدول المتقدمة فى المجال الذرى

وكانت الصناعة فى حالة سيئة من الركود على الرغم من القوى الكامنة المتوفرة فى الهند وثرواتها الطبيعية من الفحم والحديد والمنجنيز والميكا والفوسفور والقطن والصوف وغيرها من الخامات التى تؤهلها لأن تكون دولة صناعية كبرى، وكان فى مقدمة أسباب هذا الركود التخلف العلمى فى ميدان استخدام الوسائل العصرية فى البحث عن المواد الخام الصناعية، والنقص فى معاهد الابحاث العلمية والمعامل العلمية، فعنيت الهند بانشاء المعاهد والمعامل الوطنية لتتولى مهمة البحث العلمى النظرى منه والتطبيقى، ومنها معهد أبحاث الوقود ومعهد الابحاث الذرية ومعهد ابحاث التغذية ومعهد شئون المعادن والتعدين وغيرها.

ويقوم خبراء العلوم والتكنولوجية بالاشراف والعمل فى هذه المعاهد والمعامل فى المجالات الهندسية والصناعية وكذلك فى الابحاث المختلفة. وهكذا دخلت الهند منذ العشرة الاعوام او الخمسة عشر عاما الماضية دور التقدم العلمى وتمكنت من تخطيط مدروس فى تعصير الابحاث العلمية والصناعات الثقيلة والخفيفة ومشروعات الاصلاح الزراعى والاعمار الريفى وفقا للمطالب القومية.

تجرى فى الهند الآن البحوث العلمية والمعملية تحت اشراف «مجلس الهند المركزى للبحوث العلمية والصناعية». ويقدم المجلس جميع التسهيلات اللازمة للمتفرغين من الخبراء والمتخصصين فى مختلف فروع العلوم والتكنولوجية لكى يقوموا بتقديم بحوث علمية هادفة، كما أنه يشرف على شئون الخبراء

الذين يعودون من الخارج حاملين شهادات التخصص فى شتى فروع العلوم والفنون لتستفيد البلاد من خبراتهم ويكونوا ذخرا نافعا للتقدم العلمى فيها .

ومن المعامل العملية الكبرى التى تعمل فى مختلف أنحاء الهند : المعمل الوطنى للطبيعة فى نيو دلهى ، المعمل الوطنى للكيميا فى مدينة بونا بقرب بومباى ، ومعامل البحوث العلمية فى كل من : حيدرآباد وكشمير وميسور وآسام واوريسا . وتقوم هذه المعامل ببحوث علمية فى القضايا المتعلقة بحاجة البلاد الى التقدم فى المجالات الطبيعية والكيماوية وغيرهما من العلوم فى الهند عامة وفى الاقليم الذى يقع فى دائرته ذلك المعمل خاصة ، ووضع مجلس الهندى المركزى للبحوث هذه الاعتبارات الاقليمية نصب عينيه عند اختيار مقر كل من هذه المعامل فى مختلف أنحاء البلاد .

وقد فتح المجلس المركزى للبحوث العلمية معاهد خاصة تقوم بابحاث علمية وفنية لرفع مستوى التسهيلات المعملية فى مختلف الفروع العلمية والتكنولوجية ، ومنها معهد أبحاث الوقود فى بيهار ، ومعهد أبحاث الزجاج والفخار فى جاداوبور . ومعهد أبحاث التعدين فى ميسور ، ومعهد الابحاث الادوية والعقاقير ، ومعهد الطاقة الكهربائية والكيماوية فى مدراس ، ومعهد البحوث الهندسية والالكترونية فى راجستان ، ومعهد الابحاث عن الملح والكيماويات البحرية فى كجرات . ومعهد الابحاث الهندسية الصحية فى مهاراشترا ومعهد أبحاث الجغرافية الطبيعية فى حيدرآباد .

وبفضل الجهود الجبارة التى تبذلها هذه المعاهد وتلك المعامل توالت النهضات فى مشروعات توليد الكهرباء وتوسيع رقعة الاراضى المزروعة وتحسين مشروعات الرى وتنمية الصناعات الثقيلة والخفيفة ، فى الهند اليوم

مصانع كبرى تجرى على احدث النظم والاجهزة لصناعة المواد الرئيسية والاستراتيجية مثل مصانع القاطرات فى مدراس ومصانع هندوستان للاسلاك والكابلات ، ومصانع الالات وعدد التليفونات واجهزتها فى ميسور ، ومصانع بناء السفن فى فيشاكاباتنام ، وصنع الطائرات ببنجالور ، وانتاج عربات السكك الحديدية فى برامبور بمدراس . وتتلقى هذه المعاهد والمعامل كل انواع التسهيلات اللازمة للقيام بواجباتها وتحمل اعبائها من الحكومة المركزية وحكومات الولايات والمنظمات العالمية الدولية .

إن برنامج الطاقة الذرية فى الهند قد وصل الى مرحلة نضج وتقدم مرموقين حتى أصبحت الهند اليوم إحدى الدول التى احرزت تقدما ملحوظا فى مجال انتاج الطاقة الذرية واستخدامها للاغراض السلمية ، وان لجنة الطاقة الذرية الهندية مسئولة عن تخطيط وتنفيذ برامج انتاج الطاقة الذرية واستخدامها للاغراض السلمية فى الميادين الزراعية وبيولوجيا والطب والصناعة وانتاج الطاقة الكهربائية وغيرها . واما المركز الرئيسى للبحوث الذرية فى الهند فهو منشئة الطاقة الذرية فى ترومباى بقرب بومباى وتشمل هذه منشئة على ثلاثة مفاعل ذرية بالاضافة الى التسهيلات الانتاجية الهائلة مثل مصنع التعدين للاورنيوم والثوريوم ومصنع تقطير المياه الثقيلة ، وكذلك معامل خاصة لانتاج العناصر الوقودية اللازمة للمفاعلات الذرية وتفكيك « للفيزيكا النووية » .

وجرى العمل الآن لانشاء محطتين لانتاج الطاقة الذرية واحداهما فى منطقة تارابور على بعد ٩٦ كيلومتر من بومباى ويتوقع ان تبدأ هذه المحطة انتاجها فى نهاية عام ١٩٦٨ . والأخرى فى منطقة « رانا براتاب ساجر » فى ولاية راجستان .

وقد وافقت لجنة الخطة الخمسية على مضاعفة معدل انتاج هذه المحطة وعلى بناء محطة ثالثة فى ولاية مدراس خلال فترة مشروع السنوات الخمس الرابع. ويتوقع ان يصل معدل انتاج القوى الكهربائية بواسطة الطاقة الذرية إلى اكثر من مليون كيلوات لغاية نهاية فترة المشروع الرابع والمعلوم ان الطاقة الكهربائية المنتجة من هذه المحطات تكون أقل تكليفا وأرخص ثمنا من الطاقة التى تستخرج من المحطات الحرارية.

قال الدكتور رادها كريشنان رئيس جمهورية الهند وهو يفتتح أول مؤتمر اسيوى افريقى لخبراء العلم فى عام ١٩٦٥ : «إن الهند والبلاد الاخرى التى بزغت عليها شمس الحرية بعد ظلام الاستعباد لايمكنها أن ترفع مستوى المعيشة فيها الا عن طريق العلوم والتكنولوجية، وأن العلم مطلب لا نهاية له ومغامرة كبرى إن المعرفة العلمية قد تتجمع وتزداد ولكن ما هو أهم من ذلك هو اكتساب النظرة العلمية والذوق العلمى والعالم الحقيقى هو ذلك الذى يجعل بحكم العقل يسيطر على ميوله، إننا كلما توغلنا فى العلم ازداد أمامنا غموضا، وأن نواحى الطبيعة بما فيها من عجائب تولد فى الانسان روح التواضع» واختتم الفيلسوف الهندى قوله «ولهذا يجب ان يتكون فى نفس كل عالم احساس بالتواضع وعليه أن يعتبر نفسه ناسكا متعبدا فى محراب العلم»

وبهذه النظرة الصحيحة المتكاملة للعلم تتقدم الهند بخطى حثيثة وثابتة فى ميدان الابحاث العلمية والانتفاع بنتائجها وتبادل خبراتها وتجاربها مع البلدان الاخرى على اساس التعاون المشترك المثمر.

عرفت الهند منذ القدم مكانة العلم والتعليم ونفوذهما القوى فى تكوين المجتمع والدولة على أسس متينة وسليمة وتبنت الهند القديمة التعليم

بمختلف أنواعه، وأقامت شبكة من المدارس والمعاهد والجامعات فى عواصم البلاد منذ عصور بالغة فى القدم، واشتهرت هذه العواصم العلمية فى ذلك العصر كمراكز للعلوم والفنون والحكم، يشع منها نور الحكمة والعرفان إلى أنحاء العالم، ومنها المدن الاثرية المشهورة فى الهند مثل «تاكسيلا» و «نالندا» و «كاشى» و «مادورا» و «نارس» وغيرها

وقامت فى الهند فى تلك العصور الغابرة مجامع علمية عديدة اسمها «الباريشاد» حيث كان يجتمع العلماء والفلاسفة ورجال الدين ليصدروا احكامهم فى كل ما يتعلق بالدين والعلم والفلسفة والقانون. وكانت هذه المجامع بمثابة الجامعات الحديثة فى العصر الحاضر إذ كانت تؤدى للمجتمع خدمات علمية وفنية يقوم بها التعليم الجامعى اليوم

كان التعليم فى الهند يستهدف تطوير شخصية الطفل عن طريق التثقيف الذهنى، والتدريب المهنى لان مقومات النجاح للافراد والجماعات لاتتحقق إلا على الاسس الذهنية والمادية على حد سواء.. وبناء على هذه النظرية المتأصلة فى أذهان رجال التعليم فى الهند المستقلة، وفى مقدمتهم المهاتما غاندى، ووضعت الهند الجديدة الخطط والمشروعات العديدة لنشر التعليم الاساسى فى جميع أنحاء البلاد.

فلايقتصر التعليم فى هذه المرحلة على الناحية النظرية فقط بل يشمل النواحى العملية أيضا لكى يتلقى التلميذ دروسا فى كرامة العمل اليدوى، والتعلم المهنى، حتى يصبح عضوا نافعا فى المجتمع، وتتكون لديه هواية نفعه، أو حرفة تساعده فى بناء مستقبل حياته بدون اتكال على وظيفة حكومية، أو التكالب على موائد الاعمال المكتبية.

وعلى رغم ارتفاع نفقات التعليم الاساسى ، والنقص فى عدد المعلمين المدربين على أسس التربية الحديثة انتشر التعليم الاساسى فى طول البلاد وعرضها ، بعد الاستقلال حتى بلغ عدد المدارس المهنية فى السنوات الاخيرة اكثر من ٧٠٠ مدرسة على أنه من المتوقع أن يزداد هذا العدد فى الاعوام المقبلة نظرا لاقبال الطلاب على التعليم الاساسى حيث بلغ عددهم الآن حوالى مليونى طالب .

وقد قرر مشروع السنوات الخمس الاول فى الهند تحويل مدارس التعليم الابتدائى إلى مدارس التعليم الاساسى مستهدف تطوير شخصية التلميذ الناشئ عن طريق مهنة اجتماعية مثمرة

وقد زاد عدد المدارس الابتدائية التى حولت أخيرا الى مدارس مهنية عن طريق مراكز التدريب المهنى ازديادا ملحوظا وقد اقترح فى مشروع السنوات الخمس الثانى تمهيد برامج تدريب المعلمين على بعض الصناعات الخاصة فى نطاق واسع ، كما أقيمت كليات للتربية الاساسية .

وعلى اثر استقلال البلاد بدأت الهند تضع مشروعات واضحة المعالم للنهضة التعليمية فى الشعب على اختلاف طبقاته ونص دستور الهند على ان التعليم مجانى واجبارى لجميع الاطفال بين السادسة والرابعة عشرة وشرعت الهند تمهيدا لهذا البرنامج فى فتح المدارس الجديدة واعداد المعلمين اللازمين لها .

وبلغت نفقات الحكومة على التعليم أكثر من مائتى مليون جنيه فى العام وهذا المبلغ أكثر من أربعة أضعاف ما كان ينفق على التعليم قبل الاستقلال .

ونتيجة لارتفاع مستوى التعليم فى المراحل الابتدائية والثانوية ازداد عدد المتقدمين لتلقى الدراسة بالمعاهد العالية والكليات الجامعية، وكذلك ارتفعت نسبة التعليم بين الاناث بشكل مرموق بعد أن كانت منخفضة جدا نظرا لبعض الظروف والحالات الاجتماعية.

وفى الهند اليوم ستون جامعة تضم ١٥٠٠ كلية منها ٥٩٠ كلية مخصصة للتعليم المهنى والتدريب الفنى وهناك أيضا عدة معاهد تقوم باعداد المعلمين اللازمين لمواجهة النشاط التعليمى المتزايد فى البلاد، هذا عدا المدارس الفنية العديدة التى أنشأتها الهند لسد حاجة حركة التصنيع القائمة فى البلاد الآن.

وجدير بالذكر أن حكومة الهند قد شكلت عقب استقلالها من الحكم الانجليزى لجنة برئاسة الدكتور رادها كريشنان الرئيس[1] الحالى لجمهورية الهند، لدراسة مشكلات التعليم العالى فى البلاد فى ضوء التطورات الحديثة، وقد قدمت اللجنة عدة مقترحات وتوصيات للنهوض بالتعليم الجامعى فى الهند، وتم الآن تنفيذ كل توصيات تلك اللجنة ومقترحاتها.

وبفضل تنفيذ هذه المقترحات وصل عدد الطلاب الجامعيين فى نهاية فترة مشروع السنوات الخمس الأول الى ٧٢٠،٠٠٠ طالب مقابل ٤٢٠،٠٠٠ طالب قبل بدء تنفيذ برامج المشروع، وقد استمر هذا التزايد النسبي فى السنوات التالية بعد ذلك.

منذ أول يوم لاستقلال الهند، بدأ المسلمون يؤدون نصيبهم فى تثبيت دعائم الحرية للبلاد، ويتحملون مسئوليات ضخمة فى بناء الدولة الحديثة، فكان من بين أعضاء الجمعية التأسيسية التى وضعت الدستور الحالى حوالى خمسة وأربعين عضوا مسلما - كما كان عدد كبير من المسلمين أعضاء

(١) السابق

فى المجالس التشريعية فى المقاطعات المختلفة، وشغل امام الهند المرحوم مولانا «أبوالكلام آزاد» فى أول وزارة ألفت فى ظل الاستقلال منصب «وزير المعارف والبحوث العلمية»، كما أن تولى فيها منصب «وزير الاغذية» الزعيم المسلم «رفيع أحمد قدواى». وهما الوزارتان الهامتان فى دولة أعلنت أن مهمتها الاولى، القضاء على الجهل والفقر - هذا إلى جانب عدد كبير من الشخصيات الاسلامية البارزة تولوا أعلى المناصب العسكرية والدبلوماسية والقضائية والتعليمية وكانوا يلعبون دورهم الفعال فى تشكيل الهند الحديثة ويحتل المسلمون مركزا رئيسيا فى الميدان التعليمى فى الهند، ومن رجال التربية المسلمين البارزين الدكتور «ذاكرحسين» نائب[1] رئيس الجمهورية الهندية، ومؤسس «الجامعة الملية» بدلهى ووكيل «جامعة عليكرة الاسلامية» سابقا.

وكذلك وزير المعارف الهندى الحالى[2] «محمد كريم شكلا» والسيد «على ياور جنك» وكيل جامعة عليكرة. وهذا قليل من كثير من ابرز رجال التعليم الذين يحتلون مناصب عالية فى الحكومة الهندية.

فاذا انتقلنا الى ميدان «السلك السياسى» نجد المسلمين ممثلين فيه بنسبة مرموقة فمنهم سفراء ورؤساء البعثات الدبلوماسية، ومنهم الموظفون الكبار فى وزارة الخارجية والمحافل الدولية. ويؤلف المسلمون نسبة ملحوظة فى الميدان القضائى فيوجد منهم قضاة فى المحكمة العليا المركزية والمحاكم العليا فى الولايات.. وفى الميدان الاقتصادى والاجتماعى أيضا يؤلف المسلمون جزءا حيا فى إقامة صرح الهند الحديثة التى تتيح الفرص لجميع أبنائها لأن يشقوا طريقهم إلى حياة محبة واخاء ورفاهية ورخاء، على الرغم

(١) رئيس الجمهورية الهندية حالا (٢) قد استقال من منصبه

من النعرة الطائفية، أو العصبية التي تثيرها حينا فآخر العناصر الشريرة المغرضة، ولكن السياسة الهندية المبنية على دستور علماني، وحكم برلماني تقف بالمرصاد دائما لهذه العناصر المنحرفة، التي تشكل خطرا على روح الثقافة الهندية السمحاء ومثلها العليا

تضطلع الجمهورية الهندية بنصيبها كاملا، بوصفها ثالثة دول العالم في عدد المسلمين، في المحافظة على سماحة الهند وثقافتها ومقوماتها المشتركة الرفيعة وعلى «وحدتها في التنوع» ورحابة صدرها تجاه الثقافات العديدة وتتمتع الاقلية المسلمة في ظلها بكافة حقوقها الاساسية - وحريتها الكاملة، في الراى والاجتماع وتكوين الهيئات ومباشرة التعاليم الدينية ونشرها، وممارسة ثقافتها الخاصة والدعوة إليها وإقامة معاهد وجامعات خاصة للدراسات الدينية كما أن لهم الحق الكامل لنشر وتأليف وترجمة مؤلفات ومجلات وصحف تنشر الدعوة الاسلامية وتدعو إليها

وهذه هي حقيقة واقعية نص عليها دستور الهند في مادته الخاصة بحقوق المواطنين الاساسية وتكوين الهيئات وإنشاء المؤسسات ذات الاهداف الدينية وإدارتها. وأن الامة الاسلامية في الهند تلعب - وسوف تلعب - دورا هاما في إقامة صرح الهند الحديثة الناهضة على أسس سليمة في ظل ديمقراطيتها وعلمانيتها وروح دستورها.

حبّ فى أرض الجمر

للاستاذ صالح مصيبه

رمانُك مِكبولُ الخُطى ورمانى ... يشدُّهمـا للنجمِ قلبُ حَنانِ
لقد قصّرا والعدرُ أحلى من الضحى ... فمـا مشيـا الاّ على الحدثانِ
رميتُهمـا بالجمرِ حتى تلّهبـا ... وحقّاً كومضِ البرق واللّمعانِ
شددْتُ على ظهرِ الرمانِ بقسوة ... فأحمَلَ روعاً وانثنى لحِرانِ
وفى عطلةِ الأيام سرّ انتماهمـا ... وفى الصحوِ عَودُ السُكرِ والثَملانِ
أفيقى على الشكوى لقد مسّ وقعها ... مشارفَ مُلكِ الله بالرَحَمانِ
وما رُحتُ أشكو كالضعيفِ تململاً ... فشكوايَ أحلامٌ لهـا وأمـانِ
أردْتُ حيـاتى وثبةً وتمرُّدا ... على كلِ غلٍّ عـائقٍ وهوانِ
وعرضتُ أيامى وعُمرى مُخـاطرا ... ليسرحَ فى الدنيا دوىُّ كِيانى
أتيتُك ملهوفاً وعينى حبيبةٌ ... يُحدّثُ عنى القلبُ بالخفقانِ
أتيتُك والدنيـا علىّ بخيلةٌ ... لعلّى أرى فى الصدر كنزَ حنانِ
وخِلتُكِ (راعوتَ) الوفيّةَ فى الهوى ... وأنك منهـا روحُهـا المتفـانى
أحبّتْ وعاشتْ حرّةَ القلبِ عمرَها ... ولم ترضَ غيرَ الحب مهرَ قِرانِ

رجوتُكِ عوناً فى تجاهلِ رحلتى وغوثَ جريحٍ بعدَ كلِّ طِعانِ
فيا خَجَلى عاودتُ دربىَ حائرًا وعزّيتُ نفسى باستباقِ أوانى
وما لاحقتْ عيناىَ حسنَ مليحةٍ معلقةٍ فى أمرِها بهلانِ
وأسلو حبيباً عقّنى ثم عقّنى وزادَ فسوّى قوسَه ورمانى
فلا تلعبى بالنارِ أنتِ صغيرةٌ تحالُ لظاها صبغةً لِبنانِ
ولا تحسبى أن الفوارسَ ضُحكةٌ فما خُلقوا للضُحكِ والهذيانِ
أردتُ فكان اللهُ فوقَ إرادتى ولو شدَّ أزرى دونه الثقلانِ
أتحلقُ أشهى فتنةٍ وتصونُها لقد فازَ عاوٍ لا يخاف وجانِ
أذنتَ لنا أنْ نشربَ الحبَّ صافياً فخرٌ ولمّا تنهلِ الشفتانِ
وكنتُ أُلاقى ، فى الثّريا، هدايتى وأنعمُ فى لطفٍ وعذبِ لبانِ
وفى جناحاىَ الغويّانِ فوقها ولما خبتْ فى الصبحِ قلتُ: خذَانى
وأىّ بيانٍ يُطلِعُ السرّ عارياً وللوجه عندَ الناسِ ألفُ بيانِ
بعينىّ أطيافٌ سأرجعُ حشدَها كما يُرجعُ الوادى صدى زفَوانِ
وأعطفُ قلبى زاجراً ومعاتباً فلا كان لى حبٌّ بدارِ هوانِ
تقولينَ بعد اليوم يا ليت أننى له أملٌ أو خطرةٌ بجنانِ
فهيهاتَ هيهاتَ الندامى وأُنسُهم لقد حوّلوا عن أكؤسٍ ودِنانِ

طويتُ جراحَ الحبّ حتى نسيتُها وغالبني موجُ الأسى فطواني
وقلتُ لمن لجّوا بلومٍ ترفّقوا فما لي بالقلبِ الشفيفِ يدانِ
يُحب ويهوى فطرةً لا يرده الى غيرها فى حبّه الملوان
تهنّوا بما ورتمْ وحيّوا أكفّكم لقد حيلَ بين العيرِ والنزوانِ
تعالى معى للحبّ موعدَ ساعةٍ تُعادلُ ما قد عُمّرَ القمرانِ
تعالى الى قلبى ودنياى بصمةٍ على حُرّه، فالحبّ فى الدورانِ
أخافُ على الحسن البرئ من الأذى وأخشى عليه من دُمىً وقيانِ
وكيف تلاقينا وحولك ثعلبٌ من الانس مخلوقٌ من الروغانِ
وللريف وجهٌ يطّالُ الحقّ عنده وسحرُ كلامٍ مازجٍ ببيانِ
تخطيتُ عمرى والسنين بنظرةٍ كأنَّ غدَ الأيامِ محضُ عيانِ
وفى مهجتى مرآةُ كلِّ محجّبٍ وكلُّ بعيدٍ يجرى فيه لسانى
رأيتُ بعينى ما رأى الظنُّ قبلها فأطلقتُ نفسى تاركًا لعنانى
ويا قلبُ إن خانتْ تُقرّ بذنبها فدارِكْ ولا تبقَ على شنآنِ
عرفتُكَ لا تطوى على الحقدِ جانحاً ولا تقتنى للغدرِ زجَّ سنانِ
خجلتُ من الذكرى تُراودُ خاطرى وأهربُ منها للدّجى فترانى
الى النار يا قلبى ترحّل وخلّنى بغيرِ هوىً فالعمرُ ومض ثوانِ

جنيتَ على عمرى وردت غوايتى — فما انتَ من أمرى ولستَ بشانى
لقد كنتُ أرضى أن تَعيشَ بنجوةٍ — من الحبِ والانسانُ غيرُ مُصانِ
أُسائلُهُ لو مالَ عنى وفاتنى — كمانى الذى ألقاه منه كفانى
رعيتُ لأمسى كلَّ عهدٍ وذمةٍ — وما همنى أنْ عادَ لى ورعانى
أُقلّبُهُ يوماً ويوماً فاتحنى — وأخشعُ فى سر له وعلانِ
لما وجدنا مدَّ الربيع بساطَهُ — وسيَّرَ نتراينا لكلِّ مكانِ
سقاكِ الرحيقَ البكرَ من كرمِ بابلٍ — ومالَ فعبَّا كأسَهُ وسقانى
وطافتْ بناتُ الجنِّ يعزِفنَ حولنا — أساطيرَ ألحانٍ ووحىَ أغانِ
صبيانِ يا ربَّ الجمالِ تعرّيا — على شاطئ الأنوارِ يتردانِ
وليدٌ يناغى فى حماكَ وليدةً — ويحمل ـ ان تقرنهما ـ الولدانِ
فيا ربِّ زيّنها بعينى وحلّها — شقيقةَ روحى عندَ كلِّ زمانِ
أطوف بعينيها عوالمَ جمةً — من الطُهر لم يحلمْ بها المَلَكانِ
ونشدو بألحانِ الشبابِ كأننى — وإياكِ طيرا جنةٍ غَردانِ
صممتُ الأمانى وهى زهراءُ طفلةٌ — ووزّعتُها فى مهجتى وجنانى
زمانٌ قد احلولى بأوهامِ عاشقٍ — وعاشقةٍ فى غفلةٍ وأمانِ
ولم أدرِ بالايام تجمعُ حقدَها — من الأمسِ فى دهرى الى غَطَفانِ
أسامحُ مزهوّا وأغفرُ قدرةً — فما حَسِبَ الأوزارَ غيرُ جَبانِ

التأثير العلمي العربي وتطور الصوفية في الهند

للدكتور اى رحمان

ليس من السهولة ان يحالفنا النجاح فى الجهود المبذولة لتتبع تطور الصوفية فى الهند . فانه اذا ما اردنا معرفة الرواد الاوائل من الصوفيين يجب علينا الرجوع الى عهد اصحاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه ودراسة الاجيال التى تلت ذلك العهد فليس من المعقول ان جماعة معينة تخصصت وتكرست فى قهر الجسد لخلاص النفس بطريقة لايدركها العقل حقاً كان ذلك العهد عهد القهر والخلاص الذى اشعل الحماس فى نفوس المسلمين الاوائل ثم كانت فترة ركود عند ما اتى الرعيل الثانى ، ومن حرارتها بعث وكرة احياء تلك الجذوة . وكانوا شرذمة عند ما آلوا على انفسهم بكل شجاعة ان يتركوا هذا العالم المادى ويعكفوا بانفسهم باحثين عن العقيدة ، واختاروا لانفسهم اسم الصوفيين . وقد عاشوا فى انعزال تام عن مجتمعهم . ومع ذلك كانوا فى طليعة الذين يشاركون المسلمين كل شئ

وقد استطاع الغزالى ان يقلل (الكل شئ) الى اقصى اصولها اعلم ان قهر الجسد يحتاج الى صلاحيتين الاستقامة مع الله واحتمال مع العباد .

لقد ثبت ان هناك اتصالات عرضية بين الاسلام والهند حتى خلال الخمس سنوات من وفاة النبى ، ولعل المرجح وجودها قبل ذلك التاريخ . كما يدل اكتشاف صريح مجهول الهوية فى كيرالا على ساحل مالابار فهو يثبت تماماً بان المسلمين ساروا بتلك الطريقة (انظر فى محاضرات دكتور همايون كبير فى كلية طاهرا كولومبو ٩ مايو ١٩٥٩) اذاً يتضح من هذا

الاتصال ان هؤلاء المسلمين الاوائل لم يسافروا قط لدافع سياسى معين بل كانوا كتجار ومبشرين يدعون فى سلام ووئام (وما اورده ت. و ارنولد عن زين الدين فى القرن السادس الميلادى فكان هو اول مبشر أتى بالدين الاسلامى فى مالابار: فكانوا جماعة من الحجاج فى طريقهم لزيارة أثر آدم فى سيلان (Ceylon) وعند ما وصلوا كرانجانور ارسل اليهم الراجا والى زعيم القافلة الشيخ شرف بن دينار الذى كان يصحبه اخوه مالك بن دينار وابن اخيه مالك بن حبيب. وقد اخذ الشيخ على عاتقه ان يوضح للراجا عقيدة الاسلام ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم وجعل الله ان تؤثر تعاليم النبى فى قلب الملك فآمن وصار قلبه مفعما بحب النبى صلى الله عليه وسلم ورجا الى الشيخ واصحابه ان يعاودوا الزيارة بعد زيارتهم الى اثر آدم) وتستمر الرواية فتحكى تكريس الملك ورجوع المسلمين ودعوتهم السلمية. (انظر دعوة الاسلام طبع لندن ١٩٣٥) فنحن لا نحتاج الى التدقق عما اذا كان صوفياً معهم حيث ان ذلك العهد كان تدنيا للتاريخ الصوفى (انظر كتاب اللمع لابن نصر السراج) عند ما كان الجانب الروحى حياً يومئذ فى قلوب المؤمنين مهما كانت تلك الاتصالات عرضية، مع ذلك نحن نقدر ما كان لهم من تأثير فى حياة العهد وتأثير فى حياة الهند (انظر محاضرات دكتور كبير) والاتصال الثانى الذى له مغزى ذكره البلاذرى (٦٧٩ — ٨٢٩ هـ) انه نجد ان جماعة من العرب المسلمين وصلوا تانا (Thana) قرب بومبى فى عهد الخليفة الثانى عمر (١٥ هـ — ٦٣٦ م) (انظر فتوح البلدان ص ٤٢٨) وقد ارسل هولاء عثمان بن ابى العاص الثقفى وهو صحابى تحت امرة اخيه الحكم بن ابى العاص الثقفى والاخير

كذلك صحابى، كما قاد احو عثمان السعيدة بعثة مماثلة صد ناروواس (فى كوجرات) ثم الى خليج ديبال. وقيل انه فى خلال هذه البعثات وبعدها ان جماعة من الصحابة زاروا الهند وكانوا من بينهم ؛ اسيم ابن عمر التميمى، وسهيل بن اوى، والحكم بن ابى العاص الثقفى، وعبد الله بن عثمان، وعبيد الله ابن معمر التميمى، وعبد الرحمان بن سمر ابن حبيبة وسنان بن سلمى الحوزلى، والموكد ان زيارة المسلمين فى الايام الاولى تركت اثراً فى الساحل الهندى واثراً فى حياة السكان.

والاسف ! تتركنا المراجع المكتوبة دون الاطلاع على النشاط الاجتماعى والسياسى او الثقافى لهؤلاء المستوطنين الاوائل من المسلمين فى الهند. (انظر تاريخ السند للدكتور ام. داؤد پوتا ١٩٢٨) كما نفتقر الى معرفة الكيفية التى اسرت بها العرب فى المناطق الساحلية وشئون ممالكهم (انظر الممالك الاسلامية فى الهند قبل خروج المسلمين الجزء الثانى ص - ٤٧٤ - ٦٠٠ والعرب والهند للدكتور سليمان. دار المصنفين ١٩٤٢) وحقيقة لم تكن الهند كاملة فى الوجود الا بعد احتلال وامتلاك السند وملتان وتكوين الاقليم الشرقى للامبراطورية العربية الاموية.

وهنا قصة مهمة وذلك ان فى زمن حكم الوليد قد قتل الحجاج بن يوسف الثقفى خمسمائة من الاولياء والعلماء وقد هاجر بعض القرشيين من المدينة الى المناطق الساحلية للمحيط الهندى واستوطنوا هناك. وتنتمى قبيلة النوات الى اولئك المهاجرين، وهى القبيلة التى ينتمى اليها الملا على المهايمى من مهايم فى بومبى (٨٢٥ هـ) وهو احد العلماء الاوائل الذين تأثروا بفلسفة ابن العربى (انظر تذكير الامة ١٩١٤ ص ١٤٧ حياة الملا على)

والقائد العربى الشاب محمد بن القاسم الذى اسندت اليه القيادة فى اثناء فترة حكم الوليد بن عبد الملك فى عام ٩٢ هـ ٧١١ م. لاحتلال مقاطعتى السند والملتان وضمهما الى الامبراطورية العربية الواسعة (انظر مقالة البروفيسور ميرزا محمد يوسف: تأثير العلوم الهندية فى الثقافة الاسلامية ابريل ١٩٦٢) وقد ترك المرزبانى فى معجم الشورى صورة لطيفة للقائد الشاب وقد ظهر انه بجانب نشاطه العسكرى، رجل ذو الذوق العربى بجانب انه شاعر كفؤ من ذلك نعلم ان رجلا مثله قد جذب حوله اصحاباً سواء بدعوة منه أو بجاذبيته الطبيعية كلهم من ذوى الثقافة والتهذيب. وليس هناك ما يثبت بانه ليس بالقائد الكفؤ بجانب علمه وشاعريته، وقد فصله توا سليمان اخو الوليد الذى خلف اخاه بعد موته فى سنة ٩٦ هـ. وقد سلمت القيادة الى قائد آخر

وقد بقيت السند فى ايدى العرب لمدة الى ان اناط المعتمد الحكومة الى يعقوب بن ليث مؤسس بيت الصفارية (Saffarid dynasty).

وكانت مقاطعتا السند والملتان تحكم خلال مأتين سنة من جانب الخلفاء العباسيين، حتى افول نجم الدولة العباسية فى اعقاب القرن الرابع الهجرى. وكان فى خلال هذه الفترة سافر المقدسى (انظر احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ص ٤٧١ - ٤٧٢) الى السند. بالرغم من ان العمل الذى سجله عن انطباعاته عبارة عن وصف طبوغرافى، ومهما يكن، فقد حاول ان يعطى تفصيلا عن مشاهير الاولياء والعلماء الذين يقطنون الهند فى ذلك الوقت. وكما اورده الكاتب، ان هؤلاء العلماء كانوا اصلا من العراق وسوريا (انظر رسالة الدكتور م. ك. اشرف جامعة لندن ١٩٢٢)

الاقليم الذى اشتهر تشربه للفكر الاعريق الذى شجعته الكنيسة السورية حتى زمن الانشقاق . (انظر مقدمة ابن سينا لسهيل م افنان ص ١٤ - ١٥ طبع جورج الله ويو نوين ١٩٥٨) .

وكان للموصى السياسى الذى تمخض عن سقوط الدولة السياسية وعلى اثرها محى الحكم العزنوى فى الهند ، ان اطفأ القبس العلمى الذى اضئ لاول مرة بواسطة محمد بن القاسم وكان الغزنويون خلال المأتين سنة من حكمهم قد نجحوا فعلا فى ادخال عالمية الهند فى الاسلام . وكان احد الشخصيات العالية فى هذه الفترة الحاكم نفسه محمود العزنوى (٤٢١ هـ - ١٠٢٠) الذى تدور حوله كثير من الاساطير ، التى تساعدنا فى معرفة الكيفية التى اخذ الاسلام بها نفوذه (انظر اليقين استفون تاريخ الهند ص ٢٢٦ كذلك استانلى لينپول النظام القبلى لشمال الهند ص ١٧٤ طبع اكسفورد ١٩٢١) فكان يزين مجلسه سبعمائة شاعر وكان من عادته قبل ان يدخل فى الحرب يخر على وجهه امام الله . كما انه يطلب البركة من بعض الاولياء . وقد ثبت انه لم يفكر ابدأ على اسلام احد بالقوة ، وكما اورده بلبت (بالرغم من انه كسر الاصنام الا انه ترك الوثنيين ولم يقتلهم) واذا حصل فى مناسبة اخرى بقتل عدد لايحصى من الهندوس لم يقتلوا لاجل كفرهم بل لاسباب حتمية لا مفر منها .

وكان اثناء القرنين لحكم الغزنويين لاهور مركزاً هاما للتعاليم الاسلامية . ومهما يكن ما كان العلم والورع ليسا من الضرورى ان يترادفا . فان كانت هذه الحالة فقد اتى عالم وجمع العلوم مع المعلومات اللازمة التى اوحيت خلال التجارب والمراحل التى لاتدركها العقل ، بكل تأكيد .

انهم الصوفيون الذين كرسوا حياة مخلصة لاثبات ان العقيدة الاسلامية يجب الا تفقد اللذة الالاهية مع تدخلها في شؤون الحياة ، ونبدأ الآن عدداً من الصوفيين البارزين في الهند .

في مطلع القرن الخامس كان هناك الشيخ حسين الزنجاني الذي قدم الى لاهور لانشاء مدرسته العسكرية ، (انظر تاريخ المسلمين الباكستانيين للسيد هاشمي ص ١٤٢) وبعد ما توفي سنة ٤٢١ هـ استمر الشيخ علي هجويري (مابين ٤٦٥ - ٤٦٩ هـ) الاخ الروحي للشيخ ووريثه واستطاع ان يستمر في العمل الذي بدأه المؤسس ، وحتى هجويري نفسه كان معاملا لابي القاسم القشيري كاتب اكبر مقالة تقرأ عن الصوفية (الرسالة) وكان جل افكار الهجويري ومذهبه مقتبس من الرسالة (انظر كشف المحجوب ص ١٦٧) كما ان هناك اساطيراً لا زالت مروجة فيما تختص بخطيب صوفي يسمى مسعود عاري عن المقررة التي امتاز بها في مواعظه كما ان صوفياً مبكراً معتبراً هو الشيخ واندول لاهوري ذكره الامير حسن من كتابه الفوائد (٧٠٧ - ٢٢)

واذا ما آمنا ان ابا علي السندي كان صوفياً هندياً ، فالذي يتبع ذلك انه صوفي الهند الاول . ولكن ، انها لحقيقة ثابتة انه ليس بالهندي ، وحتى ولا فلسفته الصوفية هندية الاصل وقد حاول البروفيسور زاحنر ان يرسم استنتاجاً خاطئاً وذلك ان الصوفيين الاوائل قد تأثروا بالمذهب الهندوكي وفلسفتهم الفيدانتية (العالمية) وذلك باثبات نظريته بان فرض ان ابا يزيد البسطامي تعلم علوم المذهب الصوفي من ابي علي السندي الذي هو هندي من مقاطعة السند . بكل تأكيد ان ابا علي ليس هندياً ولكن

ربما اتى من قرية اخرى مشابهة للسند قرب بسطام : (انظر مقاله زنير عن ابى يزيد) . كما انه ما زال احتمالا ان يكون السدى (انظر طبقات الصوفية) وقد ارتكب بعض الذين يكتبون عن حياة الصوفيين نفس الخطأ باعتبار ان ابا على اول صوفى فى الهند (انظر حسنات العارفين) فمثل الاستنتاج الذى رسمه البروفيسور زاهنر (Zeaner) يدل على عدم فهم عام

بهذه الاشارات الافتتاحية عن مجئ الصوفيين الى الهند دعنا نبحث نشاطهم التبشيرى

انه لمثار دهشه ان الاسلام لم ير اى عاطفة للكراهية الشديدة او استياء فى سكان الهند الذين صاروا تحت لواءه (انظر دور التاريخ الاسلامى م ن روى (Roy) الفصل الاخير

قد يتصور المرء بان هؤلاء الاهالى وما لهم من ارث ثقافى غنى قد اكتشفوا فى هؤلاء المسلمين الزائرين صحالة فى التمسك ليس الا وان جميع مظاهر سلكهم كان تمهيداً لامتداد الامبراطورية الاسلامية هذه ربما كانت حقيقة الانطباعات التى انطبعت على اصل الهند ، ولكن لم يكن هناك دائماً عنصر صوفى يساير الجانب الفكرى لنشر الاسلام ، ويجعلهم ذلك كسفراء خالصين فعند ما تكون هناك مجموعة تؤمن بعقيدة واحدة ضد مجموعة أخرى يكون هناك خلافا وعداوة . ومع كل ، وكما اوضح السيد هملتن جب جاء الاسلام ليعتنقه الناس كثيرون واجناس شتى . نتيجة لشعور الاخوة والالفة بصرف النظر عن القطر او الجنس او العقيدة السابقة (انظر المحمديون للسيد هملتن جب ص ٢٢ طبع لندن) .

وحتى الصوفيون انفسهم لهم فضل بطريقة غير مباشرة في ادخال عدد عظيم الاسلام. ولكن لم يقرروا عامة تكريس حياتهم لادخال الناس في الاسلام. فتكريسهم للحقائق الروحية جعل الهندوك يعتبرونهم انهم بحاث المعرفة الحقيقيون فقد قال جيتا: السلك والمعرفة متعادمتان (انظر كتاب بهواد جيتا «Bhagwad Gita» ص ٥٤) هكذا يعتبر الصوفي والناسك الهندوكي صنوان. وفي وقت كانت الروح الاسلامية الحقة شخصت في حياة الصوفيين، وقد اثرت تدريجياً ميول الكندي الفكرية (القرن التاسع الهجري) فيقول يجب علينا الا نخاف ان نبحث عن الحقيقة ونرحب بها من اي مكان تأتي، حتى ولو كانت من الاجيال العابرة الاجانب (انظر رسائل الكندي الجزء الاول ص ١٠٢).

ومهما يكن، ففي القرن الثاني العشر الهجري كان هناك رهط من الصوفيين المبرزين اشبعوا الاسلام باقوال روحانية قوية فالذين سمعنا عنهم كثيراً تركوا لنا شواهد مكتوبة عن خبراتهم الروحية، فعند ما كتبوا زيادة على ذلك كان خارجاً عن شعور الواجب وفيما يختص تجاه محيطهم الذاتي لعصبتهم التي جاؤا من اجلها لاداء الدور الرئيسي للجانب الروحي وفي نفس الوقت هناك عدد لايحصى من الصوفيين المقيدين الذين ذوبوا حياتهم الحمية (في الجوع والصمت وعدم النوم) كانوا يتلقون نداء الرب نفسه فقط.

لقد ذكرنا سلفاً بعضاً من الصوفيين المبرزين الذين عرفوا القناعة كذلك — اذ ربما لايلتزم في وجهة نظرهم الاصغاء لهتاف الجماهير. وسنوردهم باختصار كاعلام لتطور الصوفية في القارة الهندية خاصة هؤلاء الشخصيات

القوية الذين ندروا بدور قواعد الصوفية المتواصلة والاخوة الروحية، هذه التنظيمات الصوفية يرجع مصدرها الى النبى صلوات الله وسلامه عليه. يقول العالم الصوفى الشهير شاه ولى الله :- ان من اكرام الله على امة محمد صلى الله عليه وسلم حتى اليوم ، ان ترجع سلسلة التنظيمات الصوفية الصحيحة الى عهد النبي بالرغم من ان للجماعة الاولى آراء مخالفة فى بعض الاعتبارات عن الجماعة المتأخرة (انتماء فى سلاسل اولياء الله الجزء الاول)

من السهل ان ترسم تطابقا متقاربا بين مجالس المؤسسين الروحيين للكنيسة المسيحية اولئك المؤسسين للنظام الصوفى وهذا لايدل على ان الصوفيين عند ما ينتمون الى نظام كانوا فى وقت ما اعضاء فى جمعية الرهبان سواء كانوا مقيمين او متنقلين . ان الحياة الدينية فى الكنيسة المسيحية فى اشد صدامتها مفتوحة لاولئك الذين ندوا الحقوق الانسانية المطلقة من امتلاك وتكوين الاسرة (انظر انجيل متى ١٩ ، ٢٩ السفر الجديد) اما من امر الاسلام لم يكن ابداً هناك تباين بين الامور الدينية والدنيوية ، حيث ان حديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه يؤكده وينفى نشدة تلك الحياة (انظر البخاري) « النكاح من سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى » فبالرغم من ان الصوفى قد اختار نظام التكريس الا انه لم يفعل كما فعل الراهب المسيحى قال إراسمس (Erasmas) فى كتابه نقد من حياة الرهبان ·

(بالاصح انها حياة اعذب من حياة رجال الدين ، ينام ويصحى ثم ينام ثانية يحدث ويصمت على صوت ناقوس . . . . . ويعمل كل شئ على حسب نظم الانسان اكثر من قانون المسيح لاشئ قاله كان اكثر ظلماً من المساواة التى يرتكبها ذوى المواهب المتفاوتة ، وخصوصاً الاديرة

عند ما ترسل السماء عبقريا لعمل حسن يدون تحت الطقوس او النظم الانسانية .) يخبرنا السراج : « يختلف الصوفي عن المسلم العادي بالضبط على الحياة الداخلية التي تطبع على الافعال الظاهرة بالعبادة المكلفة » لهذا السبب فلا ينبغي على المكرس ان يقيم في خانة او دير ولا بالنسبة الى جماعة صغيرة من الصوفيين المحترفين فانهم يسكنون في اماكن اعدت للدروس والعبادة ، والعالمية تتبع نظماً خاصة بهم ويعيشون من احاء ، ويشتغلون بامورهم الدنيوية ويقيمون شعائرهم الدينية) (انظر التصوف لآربيري Sufism : A. J. Arberry ص ٨٩) وخصوصاً يراعون الاوامر المفروضة في الدين الاسلامي عامة .

ان روح التضامن الاخوي بين مختلف المسلمين من مختلف الوانهم بالنسبة لغير المسلمين ظاهرة ملموسة بالنسبة لهذه العقيدة فالذين يستطيعون بحث الكمال في العزلة اولئك الرجال من ذوي الجانب الروحي القوي او المقتر المحور فقط ، ان المجتمع الاسلامي دائماً في رباط ووئام مستقلا اجتماعيا واقتصاديا وفي اداء شعائر عقيدته . فالمسلم وحتى الصوفي عليه ان يعلم ان عليه ان يساهم بما لديه من مؤهلات روحية لاخوانه المسلمين ، حيث ان هذه الحياة الانسانية محدودة فيدرك ان وسيلة الخلاص تكون تضامنا مع الله . فالهندوس او البوذيون «Buddhists» من جهة اخرى لم يتأثروا بنفس الشعور وزيادة على ذلك فانه مسموح للهندوك والبوذيين تأجيل حياة التنسك المنقطعة الى حياة كاملة حتى اللحظة التي ينجز فيها مسؤولياته المنزلية ، بيد ان الصوفي يجب عليه ان يعرف كيف يعيش حياة العزلة بالرغم من مسؤولياته المنزلية يديرها كيف يشاء ، فتابع الصوفية سيكون في خطر دائم اذا ما فقد طهارته السابقة بقصد .

قبل التأسيس النهائى للحكم الاسلامى لشمال غربى الهند وحتى فيما بعد فقد كانت هناك توترات غير ممهدة عند التقاء الثقافتين فكان صياحاً متفاوتاً بالنسبة الفكرية وانطباع الشعور . انه جميلا من الدين وقفوا موقف عدم التدخل ومن الذين نحوا فى اخماد تيار العداوة والحقد وكان نجاحهم ليس ناجاً لسياسة مرنة على حسب النظم الصوفية انها اخلاقية فردية خالصة اساساً لشخصيتهم وورعهم . بجانب انهم اخروا عماهم بطرق سلمية ثم تبعه ذلك تنقل التجار والامراء بالبحر والبر من القرب للشرق ومن الشمال للجنوب وتسربوا فى مناطق لم تكن بها الحكم الاسلامى اطلاقاً

(انظر مقدمة للتاريخ الصوفى للبروفيسور اى ج اربرى (A J Arberry)

تسربوا هؤلاء ولكن فى المناطق السرية ولم تكن مناطق اقليمية البتة تلك المناطق التى استطاع المتصوفون ان يتسربوا اليها دون ان يدخلوا فى مشاحنات فقهية سواء اثناء حضور اخوانهم المسلمين او غيرهم من دون المسلمين والحقيقة التى تتمركز عليها حياتهم غير شاقة يقول (الكس دورو فى كتابه طبع قوتانا ص ١٧٩ ان الحق «المزعج» مؤكد للغاية بكونه حقا ولكنه ازعاج عند تبليغه وغير متكاملة تتحكم فى نفسها منطقياً من خلال وسائل العلاقات الانسانية . ويجب الا يدهشنا اذا ما وجدناه ثابتاً انه عند ما يجتمع الصوفيون معاً يميدون انفسهم بافعال الشفقة المشتركة من احاديثهم الثقافية (انظر كتاب اللمع ص ٥٠) كذلك لايدهشنا ان النظم الصوفية ترحب بكل الاشخاص من مختلف طبقات الحياة سواء كانوا من النبلاء او الصناع فقراء او اغنياء علماء او جهلاء متحضرين او همجيين (انظر سير الاولياء تأليف مير خرد ص ٢٤٧-٢٤٦)

ويمكن المرء ان يثبت مع كل تأكيد من الزاوية التاريخية، ان ما يظهر من اضيق محيط الاخوة كان من الاحياء الرسمي للاسلام ما بين القرن الثالث عشر والثامن عشر نتيجة للنداء الذي اقتبس من الاخوة الصوفية، ان الحالة الوحيدة للدخول هي طهارة القلب والمقصد. ومن المفهوم ان الطالب الهندوكي لم يتوقع منه التخلي دون قيد عن شعائره الدينية التي هي بمثابة ارثه الديني (انظر دراسات في حضارة الاسلام صفحة ٢١٧ تأليف ه. اى. ار. جيب (H A R· Gibb)

هذه التركة الحرة الصادقة ادت الى مزاولة كثيرة من البدع التي ابتدعها الهنود والتي لم تكن معروفة في البلدان الاسلامية الاخرى (لقد اعطى زاريا احمد تفاصيل كثيرة عن اعتقادات مشهورة بين مسلمي الهند في كتابه ولاية في المجتمع الاسلامي والمؤسسات الدينية في الهند قدمها لنيل البكلاريوس فمثلا ربما يوقد سراج فوق ضريح الولي مشاركا في الطعام والحلوى للتبرك (انظر مقدمة حسن سهروردي) كما وضعت نذرا للضرائح الاولياء في ايام احياء ذكرى موت الولي الى آخره. (ومن الذين احتجوا على هذه البدع ابن الجوزي وابن تيمية والمدرسة لديوبندية التي قامت ضد البدع. فالمتخرجون من مدرسة دار الاسلام اعترضوا علناً على هذه البدع في اثناء ان اتباع المدرسة البريلوية، ساعدوا بما اسموه باحترام اولياء المسلمين فمن الصعب التفرق بينها وبين عبادة الهندوك ومظاهر الوثنية المتأخرة ولتفاصيل اوضح راجع (لمحة عن قبائل وسلالة السحاب وشمال غربي المديريات الامامية الجزء الاول ص ٥٢٥ للسير وتديل انسون والسير ادوارد ما كلاقان طبع لاهور سنة ١٩١٩).

ومع مرور الزمن صارت تعاليم الصوفية التى اعتبرت مما لابد منها للمعاصر فى المجتمع الهندى اذ هناك توضيحاً الا وهو ان الحقيقة عن شعرة التعاليم الصوفية كانت وليدة اللغة السنسكريتية (اللغة الهندية المحض) وادت بصددها ان صار الهندوك يحترمون السهروردى صوفى البنغال والشيخ جلال الدين التبريزى وقد علمنا زيادة على ذلك فان من الاشياء العامة لملامح المسلمين الهنود ان يتبعوا الاوامر الصوفية وحتى فى زمننا وقد قدرت بان ثلثى المسلمين فى الهند متأثرون بطريقة او اخرى بتعاليم الدراويش (انظر مقدمة السهروردى للبروفيسور آربرى لندن ١٩٤٢)

ومهما يكن فظهر ان هناك بعض الاقتراحات التى تقول وقد اعطى شاه ولى الله صورة للمرشد والمريد فى كتابه الصوفى الشهير، القول الجميل فى سواء السبيل فللمرشد (١) يجب ان تكون له معرفة بالفقه، (٢) يجب ان يكون صارما فى العدالة والورع، (٣) يجب عليه الا يتأثر باغراء المادى، (٤) يجب عليه ان يرشد مريديه مستعيناً بالفرائض والنواهى، (٥) يجب عليه ان يكون قد تلقى تدريباً كاملا من زعيم روحى.

اما للمريد: يجب ان يكون صحيح العقل ان يكون قد بلغ من الرشد وان يكون له اعتقاداً قوياً فى الرجل الذى اختاره للارادة.

من الانسب ان نختم هذه المقدمة بهذه النادرة الممتعة من (تأليف شرف الدين بن شيخ امام الدين)

كان الشيخ جدا يحتفل بتقدم بطلب للمرشد الشيخ غلام راشد ابو الفياض واذا توافق الشيخ قال سأمر ببعض الحلوى والخبز (انه يجب على عامة الطلاب ان يقدموا ما توزع على الجماعة التى حضرت الحفل وقد ذكر

بيوان جونس (Bevan Jones) فى كتابه المرأة فى الاسلام ص ٢٧١) برهاناً على انى ارغب ان اكون مريدك . وقد اجاب المرشد ، ان طلبك عظيم ، ولكن اولا احسب ان تعطى قولى اعتباراً خاصاً ويجب الا يكون هناك سوء فهم فكما قيل روى : هناك شياطين كثيرة فى شكل آدم وان خاتم الخطبة يجب الا يوضع فى كويد ، اذا عندك عقيدة كاملة لاتتأخر والا فاتك فرصة لضمان المكان المناسب فى العالم الاخر ، كذلك فى حالة رجل شاب توفى بعد مماته زاره صديق فى حلم وعند ما لاحظ حالة الشاب المضطربة سأله : لماذا انت فى هذه الحالة وورعك مشهود له ؟ اجاب الشاب لانى لم اتبع اى طريقة فاينما حللت لا احد من يعطيني مكاناً

هذا اختصار موجز لما اسهمه الفكرى العربي الاسلامى وتاريخ قصير للصوفية فى الهند وان شاء الله فى المستقبل سأتتبع من تفاصيل اوسع كيف تكون الصوفية كمصدر لتهذيب وتغطية المجتمع الاسلامى الهندى

أضواء على فلسفة غاندى

(غاندى والحضارة الحديثة)

اذا نظرنا الى حياة غاندى وتأملنا فى أفكاره وقابلنا بين معيشته ونظرته العامة للحياة وبين ما هو مألوف الآن فى الحضارة الغربية من النزعات الثقافية والصناعية لرأينا غاندى خصما لهذه النزعات . بل يمكن أن يعد بعض الغربيين أو الذين يؤيدون الحضارة الغربية غاندى أعظم رجعى فى العالم .

ولكن رجعيته ليست عنتا ولا مكابرة بل هى رجعية سارة توقظ الذهن وتحيى القلب وتعيد الى الذهن ذكريات «جان جاك روسو» و «رسكين» و «تولستوى» وهل هؤلاء كلهم رجعيون ؟

وذلك ان رجعية غاندى فى خلاصتها دعوة الى الرجوع الى السذاجة الطبيعية وكراهة التصنع والبذخ . فان «روسو» داع صيته فى عالم الادب الاوربى بمؤلفاته التى دعا فيها الى كراهة المدنية والرجوع الى الطبيعة . وقد فتن الناس بدعوته وهيأ الاذهان للثورة الفرنسية الكبرى .

ولكن أغلب الظن ان غاندى لم يتأثر كثيرا بروسو وذلك لان ثقافته الغربية مستمدة من اصل انجليزى . وليس هذا الاصل فقيرا فى الدعوة الى الطبيعة والتشنيع على المدنية . فان «رسكين» عاش حياته فى انجلترا ، وهو يلعن الحضارة لانها تستبدل بالجياد والعربات قطارا من حديد يصفر ويملأ الريف بدخانه ، وضوضائه . وكان هو نفسه اذا أراد التنقل من مكان الى آخر عمد الى جواده او الى عربته التى تجرها الجياد . وهو اول كاتب حاول أن يوحد بين الاخلاق والاقتصاديات كما فعل غاندى .

ولكن القارئ لمقالات غاندى المتتبع لسيرته يجد أن أعظم المؤلفين أثرا فى ذهنه هو « تولستوى » (Tolstoy) وقد كان « تولستوى » يرى أن العمل اليدوى صرورة لازمة للاخلاق الحسنة ، وكان يصنع الاحذية لاهل قريته . وكذلك كان غاندى يرى هذا الرأى ويغزل وينسج للهنود . وقد بلغ من كراهة تولستوى للحضارة الاوربية أن كان يعلن ويكرر الاعلان بان الطب يضر الناس . وكذلك كان يرى غاندى عند ما يقول إن الطب من اختراع ابليس .

ولكن لتولستوى اثرا آخر فى غاندى لان هذا الكاتب الروسى العظيم كان يؤمن بان المبادئ الدينية التى تقول بالرحمة والتضحية هى مبادئ عملية يمكن العمل بها على الرغم من اعتراض بعض الاوربيين بأنها خيالية . ويعرف القراء أنه مارس هذه المبادئ ممارسة عملية ونجح بتطبيقها فى كسر شوكة المستعمرين .

ثم هناك كاتب أمريكى قد تأثر به غاندى كثيرا وهو « ثورو » فان هذا الكاتب هجر المدن وقصد الى الريف وقنع بأقل مقدار من الطعام واللباس وهو صاحب كلمة « العصيان المدنى » التى نقلها عنه غاندى وعمل بها .

هؤلاء هم الكتاب الذين يشعر المتتبع لسيرة غاندى أنهم أثروا فيه وحملوه يجنح الى الطبيعة ويجحد الحضارة الاوربية ، وليس القصد أنه ليس له سوى فضل النقل . فانه عبقرى الذهن ، ألمعى القلب ينظر الى الدنيا نظرا بكرا ونحن لذلك نقرأه وكأننا نرتوى منه بماء صاف . وخير من أن نقول انه ناقل أن نقول انه تربة خصبة زكت فيها أسمى المبادئ الرجعية الحديثة ، وذكرنا هنا كلمة «الرجعية» كما يسمونها اليوم ، والا فان كل رجعية

تهيب بنا الى العودة الى الطبيعة انما تستبدل بيدح المدنية ترفا جديدا للنفس وحسبنا ذلك .

غاندى والمرأة الهندية

لم يحارب غاندى الاستعمار الانجليزى فقط ولم يقتصر على مكافحة الاستبداد والظلم الخارجى . بل حارب استبداد الهنود بعضهم ببعض ولم يبال أن يغضب رجال الدين أو رجال التقاليد فى بلاده حين يبشر بالمساواة والحرية .

وكان لهذا الزعيم العظيم برنامج داخلى لاصلاح بلاده لخصه هو نفسه فى خمسة أشياء وهى

١ ــ محو النجاسة أى مساواة المنبوذين بغيرهم من الهندوكيين فى الحقوق والواجبات الدينية والمدنية .

٢ ــ منع تجارة الخمور أو المخدرات فى جميع انحاء الهند .

٣ ــ تعميم مبدأ المساواة التامة بين الرجل والمرأة .

٤ ــ الاتحاد بين المسلمين والهندوكيين .

٥ ــ تعميم المغزل فى القرى .

والقارئ يرى فى مقدمة هذا البرنامج مسألة المنبوذين . وقد استطاع غاندى بما يسميه « قوة الروح » أن يبدل رأى الهنود فيها واستعدوا لان يمحوا تقاليد دامت فى الهند طوال القرون الماضية وليس شئ فى الهند أجرح لكرامتها الانسانية كما يزيد فى هوانها أمام نفسها وأمام الاجنبى ، بعد مسألة المنبوذين ، مثل مسألة المرأة . ولذلك ليس غريبا أن يوليه غاندى عنايته الخاصة ويطلب تحريرها ومساواتها بالرجل .

واذا عرفنا طهارة النفس التى يتسم بها غاندى وسمو المبادئ الانسانية التى يشرها ادركنا استمطاعه العظيم للتقاليد النجسة الدنسة القديمة التى سادت الهند من حقب طويلة . وهو لذلك يطلب فى رأس مطالبه للمرأة الغاء البغاء سواء أكان دينيا أم مدنيا وهو يطلبه بأشد لهجة حيث يقول :

« يجب على كل رجل منا أن ينكس الرأس خزيا ما دمنا نرى إمرأة بغيا ، وانى لأوثر أن أرى النوع الانسانى ينقرض كله من العالم على أن أراه أحط من البهائم حين يجعل أشرف ما خلقه الله هدفا لشهواته . وليس البغاء مسألة الهند وحدها بل هو مسألة العالم كله وإذا كنت أشير على الناس بأن يكفوا عن الحياة المتكلفة والملذات الشهوانية ويعودوا رجالا ونساء الى الحياة الساذجة التى تتخلص فى الدعوة الى المغزل فانى أفعل ذلك لانى أعلم اننا اذا لم نعد الى السذاجة ونمارسها بذكاء وعلم فاننا سننحدر الى ما هو أحط من البهيمية . »

ثم يهاجم على التقاليد التى راجت ازواج الفتاة او الصبية الصغيرة حيث يقول :

« انى أرغب رغبة أكيدة فى اقصى الحرية للنساء وانى أمقت زواج الصغار وأرانى أرتعد أسفا كلما سمعت عن صبية أرملة كما انى احتدم غيظا كلما سمعت عن زوج أرمل يعقد لنفسه زواجا آخر وهو لا يبالى ما يفعل . »

وهو اشار هنا الى « الصبية الأرملة » لان العادة الفاشية فى الهند أن الرجل المسن اذا ماتت زوجته تزوج فتاة أخرى قد تكون صبية . فلاتمضى

سنوات حتى يموت هو شيخوخة أو هرما . أما الصبية فتبقى مدى حياتها أرملة لايجوز تزوجها .

ورأى غاندى أن تعطى المرأة جميع حقوق الرجال وقال :

« يجب أن يكون للمرأة حق التصويت وأن تستوى والرجل فى الحقوق الشرعية »

ثم نصح المرأة أن تذهب عن زينة جسمها بل يجب أن لا تتزين حتى لزوجها اذا أرادت من الرجال أن يقلعوا عن التعبد لجمالها الجسمى وان يذكروا ان لها جمالا روحيا وهم اذا ذكروا ذلك نظروا اليها نظرة الحب والاحترام فعملوا لتعليمها وتربية اخلاقها

كما أكد غاندى ضرورة التعليم المشترك اى أن تتعلم الفتاة الى جنب الفتى فى صف واحد .

ولاشك ان غاندى لقى من الرجعيين فى الهند معارضة قوية لآرائه عن المنبوذين وعن المرأة . ولكنه قهرهم بقوة روحه وسمو انسانيته .

غاندى والطعام

لاينظر الناس الى غاندى من حيث انه زعيم الوطنية الهندية فحسب ، بل هم ينظرون اليه من حيث أنه معلم دينى ومصلح اجتماعى له آراء ممتازة فى الحكومة والزواج والصناعة بل له آراء فى اللباس والطعام

وغاندى يدرس الطعام لبواعث وغايات مختلفة . فانه هو نفسه ينزع الى النسك ويحتاج الى الطعام الذى يوافق حياة النسك . ثم هو يقول بالعودة الى الطبيعة وهذه العودة تقتضى لبساطة العيش والرضى بابسط الاطعمة وأقلها حاجة الى عناية الطباخ وتعدد التوابل واختلاف الألوان .

وكان غاندى مثل جميع الزعماء وقادة الفكر ينفق من نفسه مجهودا كبيرا ويحتاج الى توفير الوقت والصحة لكى يعالج نكبتى الاستعمار والتقاليد اللتين ترزح بها بلاده. وقد درس موضوع الغذاء لكى يعرف اوفق الاطعمة حتى يعمل اطول الوقت ويبذل اكبر المجهود مع لزوم النسك مع ما بين النسك والمجهود من مناقضة. فان الناسك يكف شهواته بالصوم وقلة الغذاء والمجاهد يحتاج الى الغذاء الوافر الذى يحركه على الدوام الى النشاط. وقد اضطر غاندى الى أن يدرس الطريقة التى يلائم فيها بين هاتين الغايتين. وقد وجد بالتجارب التى اجراها على نفسه أنه لكى يراقب ما يدخل ذهنه يجب عليه أن يراقب مايدخل معدته. ولاجل ذلك كان يقتصر من الاطعمة على لبن عنزته وعلى الفواكه ولبن الماعز كثير الدسم قليل المعادن. والفواكه خالية من الدسم كثيرة المعادن ومنهما يؤلف طعام تام لرجل مثل غاندى لايعمل بعضلاته وانما يعمل بذهنه ينشر هدوء العواطف لاثورتها.

وكان مع هذا الطعام البسيط يصوم بعض الايام لايتناول غير الماء، وكان يرى أن الاخلاق والافكار تتغير بتغير الطعام.

ولو ان كل رجل ممتاز فى قواه الذهنية او الاخلاقية مثل غاندى شرح للناس الطعام الذى يأكله والذى ساعده على اداء مهامه الشاقة لانتفع الناس بتجاربه. ولكن قل أن نقرأ ترجمة احد العظماء ونرى فيها وصفا لطعامه كما نرى فى ترجمة غاندى. ولايعنى هذا ان الطعام الذى اهتدى اليه غاندى يفيد كل الناس. بل ان مثل هذا الطعام قد يضر بعض الناس، ولكن اختيار الطعام، وخاصة عند القادة والزعماء الذين يطالب منهم مجهود كبير، يحتاج الى عناية وتجارب حتى يهتدوا الى ما يوافقهم منه.

وطعام كل انسان هو كالحذاء أو البدلة يحتاج الى قياس خاص .
بعد اعتبار الجسم من حيث مراحه ثم اعتبار الحرفة التى يحترفها الشخص .
وقد عرف غاندى قياسه واطمأن اليه

مالم يعرف عن غاندى

اكثر المعروف عن غاندى يتعلق بجهاده السياسى والاساليب التى اتبعها فى هذا الجهاد . ولكن هناك اشياء أخرى فى حياة هذا العظيم تستحق الالتفات سواء منها مايتصل بحياته الخاصة أو حياته العامة

وأول صفات غاندى هو النسك ، فانه كان لا يأكل سوى القليل من البلح والجوز والليمون ولبن المعز ولا يتناول غير وجبتين فى اليوم ، الاولى فى الصباح والثانية عند الغروب . ولم يعرف الخمر أو الشاى أو القهوة

وغرفته التى كان يعمل فيها عارية ليس فيها غير رف الكتب والمكتب . وكان لايملك شيئا من حطام الدنيا وقد نزل هو وزوجته عن كل ما يملكانه للفقراء .

ولم يكن غاندى خطيبا . وهو فى الخطابة مثله فى الحياة ساذج لايتشدق ولايتفصح . كان يخطب كما تكلم ومع ذلك يقنع سامعيه . ولقد قيل عنه :

« لقد صنع غاندى من مادة الابطال والشهداء . لا بل هو اكثر من ذلك . لانه يملك القوة الروحية التى تحيل العامة من الناس ابطالا وشهداء »

ومرة القى خطابا بين العاهرات وطلب منهن أن يتركن البغاء وأن يقبلن على المغزل فسمعن له وأطعنه .

. وقد جعل غاندى المغزل عبادة وأصبح حتى صار الغنى يمارسه وكأنه نوع من البر، وصارت السيدة الغنية تطرح الحرير وتلبس القماش الوطنى وقد رسخ فى ذهنها أنها تخدم الوطن.

وكانت زوجة غاندى تمشى على سنته، وهى كانت امرأة ضئيلة تلبس القماش الهندى وتجول فى القرى تدعو الى المغزل وتحض على المساواة بين المنبوذين وسائر الهنود

قال اسقف مدراس فى خطبة القاها فى كنيسة:

«انى اعلن فى صراحة — وان كان هذا يحزننى كثيرا — انى أرى فى المستر غاندى ذلك الصبور المعذب من اجل الحق والرحمة ممثلا حقيقيا للمسيح أكثر من أولئك الذين القوا به فى السجن وهم يسمون انفسهم مسيحيين.»

كان غاندى يعطف كثيرا على المكروبين وكثيرا ما قصد الى المعابد حيث يقعد المجذومون على درج المعبد للشحاذة يعرضون قروحهم على الناس لاستدرار رحمتهم فكان يقعد الى المجذوم ويمسح قروحه بملابسه ويضمدها بيديه.

ومن هنا عطفه على المنبوذين فانه لايطيق أن يرد عليه البراهمة بان الدين قد حكم بنجاستهم اذ هو يرد عليهم بقوله:

«يمكن لابليس على الدوام أن يستشهد بنصوص الكتب المقدسة. ولكن هذه الكتب لايمكنها أن تتجاوز العقل والحق، تطهر الاول وتنير الثانى»

قصد مائة من البغايا الى غاندى يسألنه النصيحة . فقعد اليهن ساعتين يتحدث عن الشقاء الذى يعانينه . وكان فى تلميحهن عند ما يعجزن عن التصريح ما كان يدرك غاندى مغزاه . وقال بعد ذلك :

« ان هاتين الساعتين اللتين قضيتهما مع هؤلاء الاخوات هما الآن اكثر من الذكريات . . . . . . لقد حنيت رأسى فى حزن عميق أمام هؤلاء الاخوات وسقوطهن »

ثم يقول :

« نحن الرجال يجب ان نحنى الرؤوس خزيا مادام هناك امرأة واحدة قد أرصدناها لشهوتنا . وانى لأوثر ان ينقرض النوع البشرى كله على أن نكون دون البهائم حين نجعل أشرف ما خلقه الله غاية شهوتنا . وليس فى جميع الشرور والمفاسد التى تقع تبعتها على الانسان ماهو أسفل ولا أوحش فى هذا الاستغلال للنساء »

رأى غاندى فى الفنون الجميلة

يقول غاندى :

يكفينى من غرفتى اربعة جدران ولا اكاد احتاج الى سقف فوقها ، وحسبى أن انظر الى قبة السماء وأرى النجوم منتثرة فيها فأمتع عينى بجمالها الذى لايفنى . فان هذا عندى يعلو على جميع الفنون الانسانية فى الجمال . ولست أعنى أن أتجاهل قيمة الاعمال الفنية . ولكنى عند المقابلة بجمال الطبيعة اشعر شعورا عميقا بانها غير حقيقية . »

ثم يقول :

«انى اعترف بانى لا استطيع ان اجد فى احد الرسوم ما يثير فى نفسى ذلك الشعور بالعجب والسمو كما أجد عند ما أتأمل السماء بنجومها . أليست جميع الاعمال الانسانية تافهة بجانب أعمال الله الفنية العظيمة التى تغمر الكون ؟»

ثم يقول هذا الناسك :

«ان الحياة أعظم ويجب ان تكون اعظم من جميع الفنون بل انى اذهب الى ابعد من ذلك واصرح بان الانسان الذى تقرب حياته من الكمال هو الفنان الاعظم . اذ ما معنى الفن اذا لم يقم على اساس الحياة الشريفة وهيكلها ؟»

مقتبسات من مقالات

(بقلم غاندى)

الى الانجليز فى الهند

لا أستطيع أن أقيم البراهين على شرف غايتى اذا لم تحسوا أنتم ذلك . وهناك من اخوانى الهنود من يتهمنى بأنى أكتم غير ما أظهر حين أقول لهم انه يجب علينا أن لا نكره الانجليز وان كنا نكره النظام الذى فرضوه علينا . فانى أحاول ان افهمهم اننا نستطيع أن نكره الشر الذى ينزله بنا أحد الناس دون ان نكرهه هو .

أطلب اليكم أن تساعدونا فى شيئين هما :

مقاطعة القماش الاجنبي .

ومقاطعة المشروبات الروحية .

ان أقمشة لنكاشاير ، اجبرت الهند على قبولها بينما منسوجات الهند قد دمرت تدميرا منظما مقصودا ولم تصبح الهند بذلك تحت رحمة انجلترا وحدها بل أصبحت تحت رحمة اليابان وفرنسا وأميريكا . اننا ننفق كل عام فى طلب الاقمشة الاجنبية نحو اربعين مليون جنيه مع اننا نزرع من القطن ما يكفى حاجتنا من القماش . واذن أليس من الجنون ان نرسل قطننا الى الاقطار الاجنبية ثم نعود فنجلبه منها وهو مصنوع ، وهل كان من العدل أن تحطاط الهند الى هذه الحال ؟ .

لقد كنا قبل ١٥٠ سنة ننسج جميع اقمشتنا . فكان نساؤنا يغزلن فى القرى ويساعدن أزواجهن بذلك على العيش . وكان الغزل جزءا متمما للاقتصاد الوطنى فى بلاد زراعية مثل بلادنا . فكان يشغل فراغنا بطريقة طبيعية .

ويجب أن لاتخطئوا ولاتحسبوا اننا نقصد مقاطعة جميع الصنائع الاجنبية ، فان الهند لاترغب فى اقفال ابوابها دون التجارة العالمية . وتلك الاشياء التى تصنع عند الامم الاخرى بأحسن مما تصنع عندنا يجب أن نقبلها مع الشكر بشروط يتبادل فيها الطرفان المنفعة . ولن تقبل الهند شيئا يجبر عليه .

ثم تبقى بعد ذلك المسألة الثانية وهى مقاطعة المشروبات الروحية فان الحانات لعنة مفروضة على الامة ولا يمكن الصبر عليها ولم تكن الهند فى اى وقت من الاوقات متنبهة لهذه المسألة كما هى الآن . وانى أصرح هنا بان رجال الدين فى الهند هم الذين يمكنهم أن يعاونوا فى هذه المسألة أكثر منكم . فان الامة الهندية تلح على منع المشروبات الروحية منعا باتا مهما كان

نظام الحكومة . ويمكنكم أن تساعدوا على نمو هذه الحركة بأن تضموا نفوذكم الى جهود الامة . وانى صديقكم الامين (غاندى)

الى نساء الهند

أخواتى العزيزات !

لقد قرر «حزب المؤتمر الهندى» أن يعين يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٢١ لكى يكون تاريخ اتمام حركة مقاطعة القماش الاجنبى التى أشعلنا نارها فى ٣١ يوليو فى بومباى . وقد اعطيت امتياز اشعال النار فى كومة كبيرة فى أقمشة السيدات العالية التى كنتن تعددنها الى ذلك الوقت جميلة فاخرة وانى أشعر ان اولئك الاخوات اللواتى قدمن أقمشتهن وملابسهن للنار قد أحسن صنعا . لان احراق هذه الملابس والاقمشة هو احسن ما يمكن أن نعمل به من الوجهة الاقتصادية .

لقد قامت نساء الهند فى الاشهر الاثنى عشر الماضية بالمعجزات فى خدمة وطنهن . وقد أديتن أعمالكن فى صمت كأنكن ملائكة الرحمة واعطيتن نقودكن ومجوهراتكن لقضية الوطن وهذا الى تجوالكن من منزل الى آخر للدعاية الوطنية بل منكن من قمن بالتفتيش على المتاجر للبحث عن الاقمشة الاجنبية .

وليس فى ما فعلته ايديكن أو قامت به ألسنتكن إثم لان تضحيتكن خالية من روح الغضب او الكراهية . وانى اعترف لكن حين أقول أن استجابتكن للدعوة الوطنية قد أقنعتنى بأن الله معنا . وليس هناك من البراهين التى تدل على أن حركتنا هى تطهير للنفس ما هو أقوى من تقدم نساء الهند لمعاونتها .

ولذلك اقول لكن ان خلاص الهند الاقتصادى والاخلاقى يتوقف فى الاكثر عليكن . ومستقبل الهند الآن مطروح على حجر المرأة الهندية يطلب منها الغداء للاجيال القادمة . ويمكنكن أن تنشئن اطفال الهند وتربينهم على أن يكونوا أحد شيئين إما شجعانا يتحلون بالبساطة وخوف الله وإما ضعفاء مذللين لايستطيعون مصادمة العواصف التى ستواجههم .

الخوف من الموت

لابد لنا من أن نخرج خوف الموت من انفسنا اذا اردنا الحصول على الاستقلال جديا لان الامة التى تجيز لنفسها أن تتأثر من خوف الموت لن تنال استقلالها وهى لو نالته لما استطاعت القيام عليه والاحتفاظ به

ان الانجليزى يحمل حياته فى كمه وكذلك العربى واليابانى كل منهما يعد الموت كأنه لايزيد على ألم من الآلام المعتادة وهو لايبكى اذا مات له قريب . ونساء البوير لايعرفن لهذا الخوف معنى ولقد مات فى الحرب الاخيرة بين البوير والانجليز آلاف من الشبان وترملت آلاف من النساء فلم يبالين لذلك . اذ لم يكن يهمهن قليلا أو كثيرا أن يموت لهن ابن أو زوج . وما منفعة الروح اذا اصبحت الامة عبيدا ؟

واولئك الذين ذكرناهم يقتلون غيرهم ويقتلهم غيرهم . ولكن ما ذا نقول فى اولئك الذين لايقتلون غيرهم وانما يرضون بأن يكونوا هم القتلى والضحايا ؟ ان هؤلاء يستحقون اعجاب العالم وحبه .

لقد حارب الانجليز الالمان وقتل كل منهم الآخر وكانت نتيجة هذا القتال زيادة العداوات . وزاد القلق وساءت احوال أوربا من هذه الحرب وزاد المكر وصارت كل أمة تحتال وتداور الامم الاخرى .

ولكننا عند ما نقول أنه يجب أن لا نخاف الموت ندعو الى ماهو أشرف وأطهر من القتال والحرب وبهذا نأمل أن نحقق الظفر العظيم فى أقصر وقت .

ولماذا نحزن اذا مات بعض الصبيان أو الشبان أو الشيوخ ؟ انه لا تمر لحظة على العالم الا ويولد فيها اناس ويموتون . وعلينا أن نشعر ببلاهتنا عند مانفرح بمولود أو نحزن لميت . واولئك الذين يؤمنون بالروح يوقنون ان الروح باق بعد الموت .

وقد قيل ان الهند بلاد الفلاسفة ولم نرفض نحن قبول هذه التحية ومع ذلك فانا لانكاد نعرف أمة اخرى تجزع الموت كما نجزع . ثم فى الهند نفسها ليست طائفة يجزع الموت كما يجزع الهندوكيون . ونحن نطير من الفرح اذا ولد لنا مولود ويشملنا عندئذ طرب سخيف ، واذا مات ميت تهتكنا فى العويل الصاخب الذى يؤرق الجيران طول الليل فاذا كنا نرغب فى الاستقلال واذا كنا نريد بعد تحقيقه أن نحتفظ به فلا بد من أن نجحد هذه العادات السخيفة ونتخلى عنها

وانما أكتب هذا لانى أرى انا لايمكننا أن نحقق استقلالنا الا اذا كنا على أهبة الموت ننتظره ونقدر وقوعه . ومن استعد وتأهب كان حريا أن ينجو من الحوادث .

والشجعان يلقون الموت وعلى شفاههم الابتسامات . ولكنهم مع ذلك يحترسون . فانه ليس فى هذه الحرب السلمية للاستقلال مكان للرعونة . فانا لانقترح الموت من أجل غاية تخالف الاخلاق الحسنة ولكنا يجب أن نستعد للصعود على المشنقة ونحن نقاوم مظالم الحكومة .

وانى أومن بذلك المذهب الذى يقول بانه مادام الانسان لا يعتدى على الحيوان فانه لايعتدى عليه أيضا . وأعظم صفات الانسان واجلها هو الحب . وعبادة الله هى هباء مالم يكن الحب اساسها .

وانما نشر بالحب أن نقهر غضب الانجليز الحاكمين وأنصارهم وعلينا أن نحبهم وندعوا الله أن يهب لهم الحكمة لكى يروا ما يبدو لنا من اخطائهم ويجب أن نرضى بأن يقتلونا ولكن يجب أن لانقتلهم نحن واذا القوا بنا فى السجن فيجب أن نرضى بهذا الحظ دون أن نحس بالكراهة ونفكر فى الانتقام .

(مأخوذ)

فى ذكرى زعيم الهند — غاندى

الاستاذ ابراهيم الخال

ذكراك عاطرة لها الاسفار / وتطيب ذكرك تنظم الاشعار
تبقى على مر الزمان كأنها / شمس لها طلع الدروب تنار
وتظل تهدى السالكين فموكب / يمضى ويتبع موكب جـرار
وتشيع فى دنيا الحقيقة قصة / مما روى الاحرار والثـوار
مما يضوع المسك بين سطوره / وتطيب عند سماعه الأسمار
مما يحيل اليأس آمالا لها / تحيا النفوس وتزهر الافكار
مما له تؤس الجراح ونفضها / أرق على طول المدى نضار
مما يرى المستضعفون خلاصهم / فى سرده فيهون ثمة أسار
مما يرى المستعمرون بأنه / قدر وفى أعقابه أقـدار
مما له الهند العظيمة كسرت / من قيدها ما حكم الجبار
امها تما الهند العظيم وانتم / حار ونعمت جيرة وجوار
بك والعصور السالفات تجسدت / وبنا كما تتجسد الاخبار

* * * *

اذ فات ماض رائع لما يزل / حيا تجدد عهـده آثار
أيام «موهنجرو» وبابل اذ زهت / دور وعمت نعمة ويسار

كانت كؤوس الود فيها بينها | تهدى وعند التاجرين تدار
فترى الهنود الى ضفاف فراتنا | يغدون لا تتعبهم اسفار
من يسوق القافلات طويلة | او بالسفين ميمم بحار
يستبدلون عطورهم بحيوانها | كسبوا بذاك وما هناك خسار
هم يشترون بها الرحال فدارع | منهم وآخر صيدم كرار
بل زاد من لطف المودة ان تكن | أسيافهم تهدى لنا وتعار
فالهندوانى الحديد محرب | عند النزال وقاطع بتار
ما خاض عنترة الكفاح بغيره | ابدا وعنترة فارس جبار

* * *

بلد الجمال الهند والارض التي | اهتزت روائع حسنها الاوتار
كما نرى فى الهند أبهى روضة | فى الارض مما تعشق الابصار
فتعشق الشعراء من كان اسمها | « هندا » و « هند » للجمال شعار
يا للجمال الهندوى فإنه | أسر القلوب ومثله أسار
انى لاذكر قصة عربية | هندية فيها العقول تحار
يوم التقى الثقفى بابنة « داهر » | « سيتا » فتأسره هو المغوار
وتبادلوا صرف الهوى وتعللوا | بأعف ما يتعلل الاطهار
ولقد تحدثنا الضفاف حديثهم | فى السند اذ خطروا هناك وساروا
لكنها الدنيا وتلك فعالها | فلقد اشاعوا فيهم وأطاروا

مكر الوشاة بهم فكانت نكبة ولقد يدبر مكرا مكار
لهفي على البطل الكريم مجدلا وعلى ائمة الابطال وهي تبار

* * * *

والهند دار الراسخين بعلمهم فهم اليهم بالبنان يشار
هم طببوا زوج الرسول وآله نعم الاساة افاضل أخيار
وكذاك هم صاغوا لبغداد اسمها من معدن منه النضار يصار
« هبة الاله » ومن أحق بمثله منها اذا اختصموا وقام شجار
ولكم ذكرت من الرحال فطاحلا ممن لهم عند الهنود تجار
وذكرت هارون الرشيد بحوطه منهم كرام عارفون كبار
والترجمات بعهدها المأمون نال ذهب الوزير وصفوة احبار
وأبايزيد بعد اخوان الصفا والشطح والحلاج اذ يحتار
والمسلمين وقد مضوا بشريعة فيها اتقى الاكراه والأجبار
سمحاء لاتذر الشعوب أسيرة رهن القيود يغلها استعمار
هي للطغاة الظالمين مخيفة أبدا وللمستضعفين وجار
ضربت على البنجاب بعض خيامها فتطلعت للوائها الاقطار
دين الاخاء الحق دين محمد ما فيه لا ظلم ولا استكبار
لولا الغريب وكيده وغلوه لتبدلت دار اذن وديار
ومن المفاخر ان يكون محمد منا ومنا الصحبة الابرار

فطلائع الاسلام نحو على المدى عرب وفيها القادة الاحرار

* * * *

أ أبا الهنود وتلك أيام مضت وتقلبت من بعدها الأدهار
وعدا الغريب على حياض بلادكم وعدا على أحواضها استعمار
وتقدمت نحو المنون جحافل فانشق بحر واحتوى تيار
وبرعت فى افق الحقيقة كوكبا يومى لدرب والدروب عثار
آمنت باللاعنف شرعة خير فتطير الأسماح والاشرار
الله فيها واحد وحقيقة والهند فيها كعبة ومزار
وبنيت للمستضعفين معابدا للحب لا دخل لهن وثار
آخيت بين المسلمين وغيرهم فى الهند وانقاد الجميع وساروا
فى وحدة وطنية مرهوبة ما نال منها المدفع الهدار
«آزاد»[1] من أحرارها ورجالها والاكرمون و«ذاكر»[2] الذكار
و«جواهر»[3] الاحرار «نهرو» وابنة الامجاد «انديرا»[4] وذلك فخار
ومضيت فى درب الكفاح تحفه الانواء والاقدار والاخطار

---

(١) اشارة الى الفقيد المرحوم مولانا أبى الكلام آزاد .

(٢) اشارة الى الدكتور ذاكرحسين ، رئيس الجمهورية الحالى .

(٣) اشارة الى جواهرلال نهرو ، رئيس وزراء الاسبق الراحل .

(٤) اشارة الى السيدة انديرا غاندى ، رئيسة الوزراء حاليا .

صارعت جبار الانام بمغزل | والسيف ملك يمينه والنار
وصمدت في سوح الصراع مسالما | لم يثنك الارهاب والانذار
حتى اقتحمت قلاعه وحصونه | وتهاوت الاركان والاسوار
وكسرت قيد الهند بعد ملاحم | وانجاب ليل واستجد نهار
وأقمت حصنا للسلام محصنا | طابت به نفس وقر قرار
هو للشعوب الناهضات ظهيرها | ونصيرها لو عزت الانصار
ياحسنها من سيرة شرفت بها | الاسفار والاشعار والافكار
شرفت بها دنيا الحقائق والحجى | وبها تشرف كلها الامصار
اسطورة نسج الخيال وشاحها | لولا الرسوم وتلكم الآثار
فعليك من فيض السماء مراحم | ما لاح برق أو أعاد هزار

لقد نشدت الابيات في احتفال أقيم ببغداد بمناسبة ذكرى ميلاد الزعيم «المهاتما غاندي» وننشرها هنا مع الشكر والتحية للشاعر الاستاذ ابراهيم الخال.

«التحرير»

الانباء الثقافية

ان مدينة واراناسى احدى المدن الهندية القديمة التى كانت فى العصور الغابرة مراكز للنشاط الثقافى، على ان الصحافة الحاضرة قلما تهتم بهذه المدينة، ولكن قلما يؤم الهند زائر من الخارج لا يزور هذه المدينة العريقة الثقافية، وهذه هى المدينة التى وجد فيه لقيط اصبح فيما بعد الشاعر الناسك الهندى الشهير المدعو بـ «كبير» وجد فى قرية لهارتا على مقربة من واراناسى، وقررت لجنة كبير التذكارية انشاء معهد للبحوث فى حياة واعمال الشعراء النساك الهنود فى قرية لهارتا، وتشرف اللجنة على «متحف كبير» الذى يجمع جميع ما يعثر عليه من نتاجات كبير خطية كانت او مطبوعة ويعد كبير اول شاعر ثورى ثار على جميع انواع التقشف الدينى.

العلاقات مع العالم العربى

احتفل جمعية الطلاب العرب فى جامعة عليجره يوم الاستقلال لدولة الكويت، ويوم تتويج الملك حسن عاهل المراكش وذلك فى رئاسة المستر رنى، وبينما كان نائب مدير الجامعة يلقى خطابا فى الحفلة قال ان الجامعة تحظى بالعلاقات القديمة مع العالم العربى، وانها ستفتح عما قريب كرسيا لدراسات غربى آسيا واعرب السيد المحاضر عن امله فى ان تؤسس جامعة الدول العربية كرسيا مماثلا فى جامعة الازهر للدراسات الهندية.

يزور الرئيس كوندا تاج

قام رئيس زامبيا اثناء زيارته الرسمية للهند تاج محل والقلعة الحمراء فى آجره، ورافقته فى تلك الرحلة قرينته وفى كلامه مع الصحفيين الهنود فى

عمارة تاج قال الرئيس ان تاج محل يذكرنا بمجد الماضي ويجعلني يشعر باننا ما زلنا لم نقم بما يجب علينا نحو مجد الماضي ، ان الروابط السياسية عن طريق البعثات الدبلوماسية لاتصبح ذات معنى الا عندما نجعلها وسيلة لتقريب التعاون والتفاهم بين الشعوب ، عن طريق المبادلات الثقافية ، والروابط الاقتصادية ، وتوفير التسهيلات اللازمة للمواصلات ، وان الصداقة التى تتوطد على اساس مثل هذه الروابط تكون اقوى وامتن ، وما زالت الهند تحاول توطيد مثل هده الروابط بين البلدان .

* * * * *

لقد احتفل بذكرى وفاة الشاعر الهندى العظيم « رابندرانات طاغور » الحائز على جائزة نوبل للادب ، فى ريودى جانيورو ، البرازيل ، فى ٧ اغسطس ١٩٦٧ . وذلك فى اجتماع عظيم عقد خاصة لهذا الغرض . ونشدت أشعار طاغور وترجمتها باللغة البرتغالية فى الاحتفال . كما ألقى البروفيسور استرحبيل اتادى ، رئيس مجمع الآداب البرازيلى ، خطابا فى الاجتماع ووصف طاغور بأنه من كبار الثوريين فى وقتنا الحاضر ، وانه تمكن من تغيير وجهة نظر الجماهير بفضل أعماله وباستخدامه الفن ، والشعر ، الأمر الذى جعله عبقريا روحانيا بجانب كونه شاعرا .

هذا ، وقبل ذلك فى ٧ من مايو ، احتفل برايودى جانيورو بذكرى مهاتما غاندى ، وسمى مستعمرة المساكن الشعبية باسم مهاتما غاندى تخليدا لذكراه فان المهاتما غاندى لم يقتصر مهمته فى كفاح تحرير الهند ، بل كان كذلك رجلا عمل لنهضة الطبقة الكادحة من الشعب والاصلاح الاجتماعى - فكان جديرا أن يسمى مستعمرة المساكن للفقراء باسم مهاتما غاندى .

وكان السفير الهندى المستر اشاريا موجودا فى الاجتماع ، وسلم بمفتاح المسكن لاول رجل يسكن فى المستعمرة ، ونصب التمثال من النحاس الاصفر لمهاتما غاندى وسط المستعمرة .

ابناء المجلس

أضاف المجلس بالنيابة عن الوزارة الخارجية لحكومة الحاج واى كے . يعقوب ، السكرتير العام لمجلس مسلمى النيجريا ، الذى زار الهند من ٢٩ شهر يونيو الى ١١ شهر يوليو ، وزار فى اثناء هذه الفترة دلهى وحيدرآباد ومدراس وبومبائى .

* * * *

منح المجلس منحة دراسية للآنسة وورستر من الولايات المتحدة ، لتعليم الرقص ، ومدة المنحة سنة كامله .

* * * *

وبعث المجلس بالنيابة عن وزارة التعليم للحكومة الهندية بعثة مكونة من ١٦ عضوا ، الى كهاتمندو ، وذلك لغرض الرقص الهندى فى كهاتمندو بمناسبة عيد الاستقلال الهندى ، ومكثت البعثة فى كهاتمندو لاسبوع واحد .

* * * *

واستقبل المجلس تحت برنامج التبادل الثقافى بين الهند والاتحاد السوفيتى ، الدكتور وى پاولو ، رئيس التحريرات فى مصلحة النشر فى اللغات الامريقية والآسيوية الشرقية والروسية وسيبقى الدكتور ضيفا لشهرين ، وسيدرس ويتعرف الدكتور الرئيس خلال هذه المدة على الخدمات التى تؤديها الهند فى المجالات اللغوية ويفكر الدكتور فى تأليف قاموس هندى روسى ايضا .

بعث المجلس بالنيابة عن وزارة التعليم وفدا ثقافيا مكونة من ٢٣ عضوا الى افغانستان للاشتراك فى الاحتفالات السنوية لدولة افغانستان المنعقدة من ٢٣ اغسطس الى ٢ سبتمبر ، وذهب الوفد فى قيادة الدكتور جوبال سنجهم احد اعضاء البرلمان الهندى ، واشتمل على رجالات الفن البارزين من بينهم الآنسة بدما وامرت حسين خان ومنور على خان ، كما اشتمل على فرقتين من فرق الهوكى والفنون البهلوانية .

* * * *

بعث المجلس وفدا ثقافيا الى موريشس لمدة اسبوعين لعرض الفنون فيها ، واشتمل الوفد على الفنانة اندرانى رحمان وامجد على خان مع ستة اعضاء آخرين .

* * * *

بعث المجلس الدكتور وحيد الدين استاذ الفلسفة فى جامعة دلهى والمستر امتياز على عرشى امين مكتبة رضا رامپور ، الى كابل للمشاركة فى سيمنار ومعارض الكتب الخطية والميكروفيلمات للغات البشتو والدرية وغيرهما من اللغات الاسلامية الاخرى وحمل المندوبان معهما بعض المخطوطات النادرة وساهما فى السيمينار بما يليق به .

ويقوم المجلس بالنيابة عن وزارة التعليم بضيافة وفد الطلاب الفرنسيين المكون من ١٥ عضوا ، وسيقضى الوفد فى الهند شهرا وسيزور خلاله هذه المدة بومبائى وكلكته ، ومدراس ، وواراناسى ، وتشندى جره ، وبهاكرا ناججل ، وبونديشرى ، وبنجلور ، وبونا ، ودلهى ، ويريد الطلاب الزائرون معرفة التطورات الهندية فى مختلف الميادين .

حلقات الدراسة

نظم المجلس مع تعاون يوسيد (USAID) اربع حلقات للدراسة للموظفين والصيين الهنود القاصدين الى الولايات المتحدة للدراسات العالية واستفاد من تلك الحلقات نحو ١٦٠ فردا كما نظم المجلس مع تعاون مصلحة الاستعلامات للولايات المتحدة حلقة اخرى للدراسة لطلاب الهنود الراحلين الى الجامعات الاميريكية للدراسات العليا. واشترك فيها نحو ثلثمائة طالب.

ونظم المجلس حلقة اخرى لدراسة الطلاب الاجانب الوافدين الى الهند حديثا ، اشترك فيها نحو خمسين طالبا من البلدان الاخرى.

وتبنى المجلس حفلة للاغانى الشعبية للمغنين من كادا ايوريل وجرى موير ، وانعقدت الحفلة فى آزاد بهاون مستقر المجلس فى دهلى ، فى اليوم الثامن من شهر يوليو سنة ١٩٦٧.

مشوراتنا

اصدر المجلس طبعة ثالثة للكتاب «Towards Understanding India» وقرر ثمنها ثلاث روبيات ونصف روبية بالعملة الهندية ، وذلك اضيف اليها باب جديد حول العلوم والتكنولوجية فى الهند.

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

AZAD BHAVAN, NEW DELHI I

The objects of the Indian Council, as laid down in its constitution, are to establish, revive and strengthen cultural relations between India and other countries by means of.

(*i*) Promoting a wider knowledge and appreciation of their language, literature and art,

(*ii*) Establishing close contacts between the universities and cultural institutions,

(*iii*) Adopting all other measures to promote cultural relations.

THAQĀFATU'L - HIND

Vol XVIII | October 1967 | No. 4

Editor

S. Taiyebali Lokhandwalla

CONTENTS

—

THAQĀFATU'L HIND

(INDIAN CULTURE)

PUBLISHED QUARTERLY

(JANUARY, APRIL, JULY and OCTOBER)

Rates of Subscription, Post Free

INLAND		FOREIGN	
Single Copy	Rs. 2.50	Single Copy	5 Sh.
Annual	Rs. 10 00	Annual	20 Sh.

Copies are sent only on prepayment and not by V P P.

All remittances and requests for supply of copies are to be addressed to the Secretary, I C C R. and not to the Editor

Books for reviews and journals in exchange etc are to be addressed to the Editor

Printed and published by
INAM RAHMAN,
SECRETARY, INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS,
Azad Bhavan, New Delhi-1.

Printed at the Nuri Press Limited, Madras—13.





"Thaqafatul Hind"

VOL. XVIII No.

OCTOBER 1967

INDIAN COUNCIL FOR
CULTURAL RELATIONS
AZAD-BHAVAN NEW DELHI